طبائع الاستهبال

- مصر بين مبارك والإخوان-

طبـــــائع الاستهبال
مصر بين مبارك والإخوان
د. إياد حرفوش
تصميم الغلاف : مي مجدي
رقم الإيداع : ٢٠١٣/١١٨٣٥
I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ٢٢٢- ٧

دار اكتب للنشر والتوزيع
OKTOB.NET
الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة .
المدير العام : يحيى هاشم
هاتف : ٠١١١٠٦٢٢١٠٣ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨
E – mail :daroktob١@yahoo.com
Facebook : دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، ٢٠١٣م

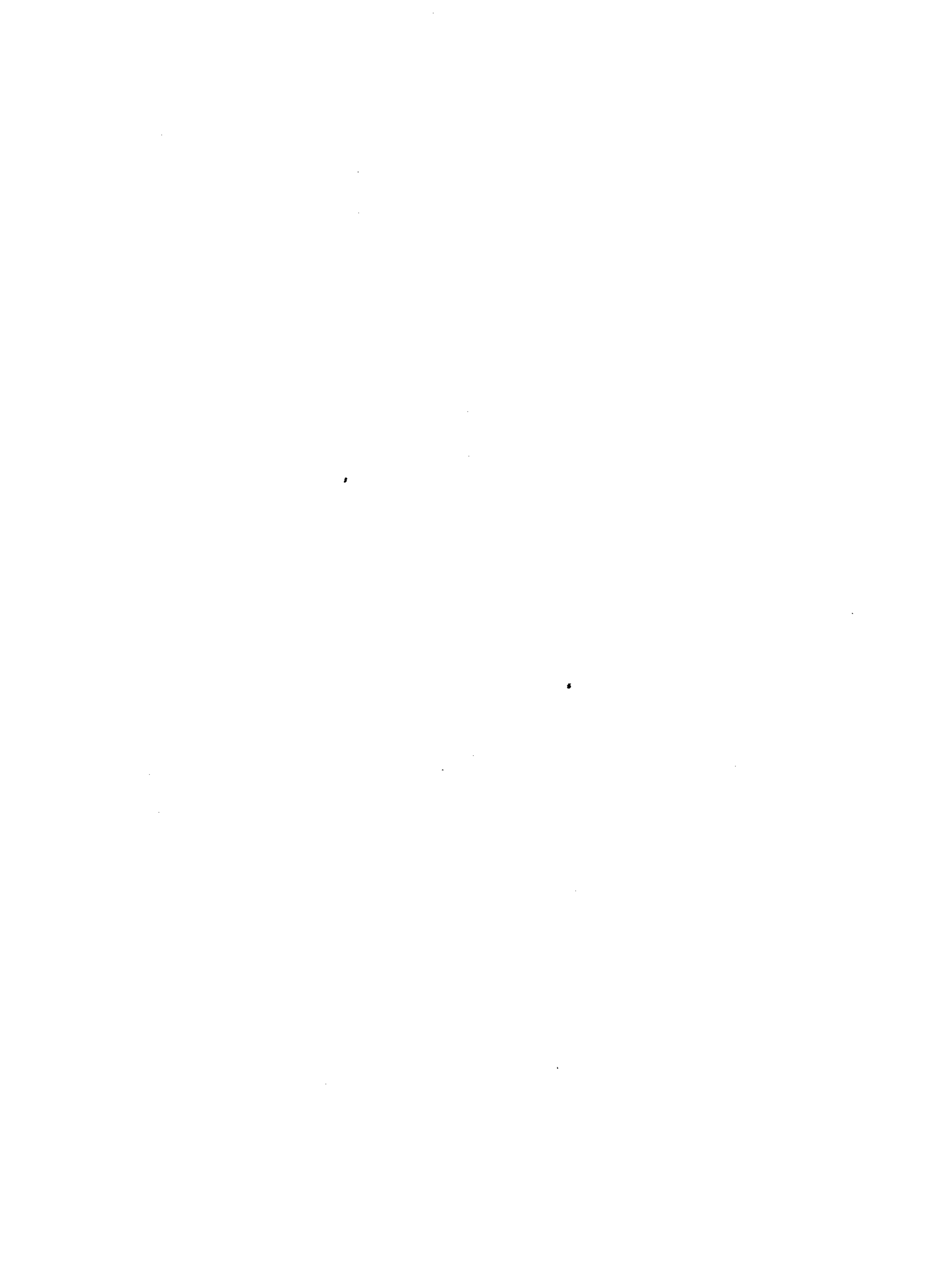
طبـــائع الاستهبال

مصر بين مبارك والإخوان

د. إياد حرفوش



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى روح شقيقي الأكبر الراحل قبطان "هيثم حرفوش"، حبيب العمر ورفيق الصبا والشباب وليالي السمر الطوال، والذي كانت وفاته وخزة في القلب لن ينقضي ألمها ما بقي القلب نابضا، أهدي كتابي هذا الـــذي أودعته بعضا من أوجاع القلب السياسية والاجتماعية. رحمك الله يـــا "هيثم" رحمة واسعة قدر ما كنت أخا حنونا مهموما بهموم أخيك.

المؤلف



يا امّة موَيل الهـــــــوى يا امّة مويلية
طعن الخـــــناجر ولا حكم الخسيس فيه
الصبر حلم العـــواجز يطرح زهور الأماني
والقهر عدا الحواجز وانا اللي واقف مكاني
شايف غيطان البشـــاير خايف وكانن ايدي
عدا الحمام اللي طاير مرضيش يرفرف علي
يا مصر وانت الحبيبة وانت اغترابي وشقايا
أنت الجراح الرهيبة وانت اللي عندك دوايا
علمني حبك عبارة .. سهلة وبسيطة وعفية
شرط المحبة الجسارة .. شرع القلوب الوفية

أحمد فؤاد نجم



هذا الكتاب

في مطلع القرن العشرين، وتحديدا عام ١٩٠٢م أصدر المفكر والقانوني والفقيه السوري الأشهر الأستاذ "عبد الرحمن الكواكبي" كتابه الشهير "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"، مشخصا فيه آفة الشرق فيما يسوده من الاستبداد بمختلف صوره السياسية والاقتصادية والدينية. وهو الحال الذي طال بنا حتى يوم الناس هذا، وعشناه في عصر مبارك ثم في عصر الإخوان. غير أن الاستبداد الإخواني جاء بعد ثورة عظيمة ونادرة قام بها الشعب المصري مطالبا بالحرية والعدل، فما يفعله الإخوان اليوم من محاولات بائسة لبناء دولتهم الاستبدادية وإحكام قبضة الجماعة على الوطن، لهو أقرب لوصف "الاستهبال" بالعامية المصرية من أي شيء آخر. لا سيما وهو نوع ساذج من الاستبداد المكشوف العاري حتى من ورقة التوت. والذي يشترك مع نظام مبارك في مقوماته الأساسية وهي:

- ظاهرُهُ ديمقراطية شكلية وجوهرُهُ الاستبداد.
- نظام يميني غير معني بالفقراء والمهمشين، وهو آخر ما تحتاجه مصر بعد ثورتها.
- يعتمد في بقائه في السلطة على رضا الأمريكي خاصة واليمين المتطرف العالمي عامة عنه. ومن ثم يستمر بمصر في معسكر الاستسلام للعدو الصهيوني الذي كانت فيه منذ ١٩٧٤م. و القبول بتقزم حجم مصر إقليميا ودوليا والسماح لدول الجوار التي تدور في فلك أمريكا بنفوذ متزايد في مصر.
- يستخدم تشويه الخصوم وترويج الأفكار المغلوطة كواحدة من أهم أعمدة بقائه.

ونقطة ترويج الأفكار المغلوطة وتشويه الوعي المصري، والعمل على مواجهة هذا التشويه للوعي والتشويش على الأفكار كانت شاغلي في العامين الماضيين،

ومنها انطلق قلمي في السواد الأعظم من مقالاتي، يواجه بالحقيقة التاريخية والاستدلال المنطقي ما يدعون. ذلك أن انطلاق الوعي المصري هو أهم ما جنيناه من الثورة، ولو فقدناه فقد فقدناها.

وبعد، فهذا الكتاب ليس وصلة ردح للإخوان المسلمين، وأدعي أن مقالاته تناولت القضايا والمواقف التي مرت بنا عبر عامين بموضوعية، ولكنها بالقطع ليست محايدة، والحياد في الفكر أسطورة كبيرة روج لها الإخوان ضمن ما روجوا. الموضوعية هي التزام الحقائق والاستنباط المنطقي وعدم توزيع التهم والسباب على الخصم الفكري، لكن الحياد في الفكر هو الميوعة وانعدام الموقف ذاته.

وهنا قد يتبادر لذهن القاريء سؤالان:

- لماذا تتحدثون الآن وتنتقدون الإخوان بينما لم تحذروا الشعب منهم من قبل؟

- هل حقا ينطبق وصف الكواكبي للاستبداد على ممارسات الإخوان كما انطبق من قبل على ممارسات مبارك أم في هذا بعض المبالغة واللا-موضوعية؟

للإجابة على السؤال الأول، أعدت في مطلع هذا الكتاب نشر مقال لي نشر عام ٢٠٠٨م ضمن كتابي "وجع الدماغ" بعنوان "المقص ولا السكينة؟ مصر بين الوطني والإخوان"، أعيد نشره اليوم في مستهل كتابي هذا مؤكدا أني لم أكن يوما من "عاصري الليمون" ولا من غائمي الرؤية ممن سوف يحاسبهم هذا الشعب يوما على تضليله وما تعرض له الوطن من جراء هذا التضليل.

أما السؤال الثاني فلسوف أبين إجابته بعبارات وكلمات "الكواكبي" نفسه في مستهل الكتاب بعد هذا التقديم مباشرة، والله من وراء القصد وبالله التوفيق.

المؤلف

القاهرة في ربيع ٢٠١٣م

الكواكبي وحكم الإخوان

٢٥ أبريل ٢٠١٣م

كان المفكر السوري الراحل "عبد الرحمن الكواكبي" مهموما بالشرق تماما كجمال الدين الأفغاني، وقد ركز كل منهما جهوده ضد الاستبداد في أقطار الشرق، وهو نمط الحكم الذي تدهور بتلك الأقطار ومكن منها أعداءها. ربما لهذا صار كل من "الأفغاني" و"الكواكبي" هدفا للتجريح والتشويه مع ثالثهما الشيخ الرائد "محمد عبده" من قبل الوهابيين خاصة وتيار اليمين الديني المتطرف عامة[١].

وفي عام ١٩٠٢م نشر "الكواكبي" كتابه الأشهر "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"[٢]، والذي قرأته للمرة الأولى منذ سنوات في عهد مبارك، وقرأته للمرة الثانية في عهد الإخوان، ووجدته في المرتين يصف الحال ويشخص الداء كأحسن ما يكون الوصف والتشخيص، والأهم في وصفه الاستبداد أنه لم يقتصر رحمه الله فيه على النمط الاستبدادي الذي يصل للسلطة عنوة أو بتزييف إدارة الجماهير، لكنه تضمن كذلك الحالات التي ينحرف فيها الحكم المنتخب لممارسة الاستبداد.

تعريف الاستبداد

يعرف "الكواكبي" الاستبداد في مطلع كتابه "الاستبداد في اصطلاح السّياسيين هو: تَصَرُّف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة" ويقول "الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلاً أو حكماً، التي تتصرّف في شؤون الرّعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محقّقَين"

---

[١] يمكن مراجعة الهجوم السافر عليهم في موسوعة الذخائر العظام لعبد الله عزام

[٢] طبعة دار النفائس هي ما نرجع إليه هنا

فمن هي الحكومة التي تتصرف في شؤون الرعية بغير حساب، غير حكومة تستهدف تقويض مبدأ الفصل بين السلطات، بحيث تتغول السلطة التنفيذية التي تمثلها الرئاسة والحكومة على السلطتين القضائية والتشريعية؟ التغول على السلطة القضائية من خلال تركيعها بعزل القضاة بقوانين منتحلة مثل قانون السلطة القضائية المزمع من قبل السلطة الإخوانية، والتغول على السلطة التشريعية بإصدار رئيس الجمهورية لإعلان دستوري في نوفمبر، انتحل به لنفسه السلطة التأسيسية ثم منح السلطة التشريعية لمجلس شورى انتخبه الشعب ليكون استشاريا.

وسوف يقول قائلهم "وما المشكلة مادام الشعب هو من ينتخب الرئيس والبرلمان" والحق أن "الكواكبي" يرد في نفس الباب على هذا السؤال، ويفند الحجة الماسخة بتاعة "الرئيس المدني المنتخب" التي ملتها الأسماع، فيقول "صفة الاستبداد كما تشمل حكومة الحاكم الفرد المطلق الذي تولّى الحكم بالغلبة أو الوراثة، تشمل أيضاً الحاكم الفرد المقيَّد المنتخب متى كان غير مسؤول، وتشمل حكومة الجمع ولو منتخباً؛ لأنّ الاشتراك في الرّأي لا يدفع الاستبداد، وإنّما قد يعدّله الاختلاف نوعاً، وقد يكون عند الاتّفاق أضرّ من استبداد الفرد"

هكذا يرى "الكواكبي" أن الفرد المدني المنتخب الذي لا يجد سلطات موازية في الدولة لسلطته، تراقبه وتسأله فيما يفعل، يتحول إلى مستبد جاء بالصناديق، وأن وصول جماعة تأتمر بأمر مرشدها للحكم، يجعلها جماعة لا تختلف فيما بينها وتتداول للوصول لأرشد الطرق، وإنما هي جماعة تسمع وتطيع، فيكون بهذا "الاتفاق على الوطن"، والذي يراه "الكواكبي" – وهو محق – أخطر من استبداد الفرد، وتنعدم أي فرصة في "الاختلاف من أجل الوطن" وهو ما يجب أن يكون. ولا ريب أننا جميعا شاهدنا في السلوك السياسي لجماعة الإخوان وأذنابها من الأحزاب الهيكلية في السلطة تجسيدا حيا لما قاله "الكواكبي" من الاتفاق الذي يصل إلى درجة التآمر.

هذا عما وصلت إليه الجماعة ورأي "الكواكبي" فيه، فماذا عن الهدف الذي تحلم به الجماعة وتتآمر ليل نهار من أجل الوصول إليه؟ إنه حالة الاستبداد القصوى التي وصفها "الكواكبي" بقوله "وأشدّ مراتب الاستبداد التي يُتعوَّذ بها من الشّيطان هي حكومة الفرد المطلق، الوارث للعرش، القائد للجيش، الحائز على سلطة دينية. ولنا أنْ نقول كلّما قلّ وَصْفٌ منْ هذه الأوصاف؛ خفَّ الاستبداد إلى أنْ ينتهي بالحاكم المنتخب الموقت المسؤول فعلاً"

فما دليلنا على أن تلك الحالة هي بالضبط "حلم التمكين" الإخواني؟

تعالوا نتأمل مفردات العبارة بعيدا عن موضوع الوراثة الذي خرج للأبد من حيز الإمكان بصورته المباشرة، وإن بقي ممكنا بصورة غير مباشرة، هي توارث السلطة داخل الجماعة:

"حكومة الفرد المطلق" .. حتى تكون حاكما مطلقا كرئيس منتخب عليك الهيمنة على البرلمان والقضاء، فلو فعلت صرت حاكما مطلقا يرتدي حلية ديمقراطية في عنقه. وبينما صنع الإخوان من مجلس الشورى برلمانا منتحلا يقوده صهر رئيس الجمهورية، ومرروا قانون ممارسة الحقوق السياسية وقانون المجالس النيابية اللذين يمهدان لهيمنتهم على البرلمان القادم، بقي القضاء المستقل عقبة أمام مشروع التمكين، فحاولوا حشد الناس ضد القضاء بدعوى أنه قضاء مفرط في قضايا الدم وقضايا الفساد، والحق أن جهاز الشرطة المنوط به تقديم الأدلة الجنائية والذي يقوده رئيس الجمهورية كقائد أعلى لم يقم بواجبه. ولما فشلوا في حشد الناس ضد القضاة ظهر مشروع حزب الوسط لتركيع القضاء في صورة قانون للسلطة القضائية.

"القائد للجيش" .. وقد حرص الإخوان في صياغة الدستور على موضوع الجمهورية الرئاسية، وعلى سلطة الرئيس كقائد أعلى للشرطة والجيش، وبالونات الاختبار التي يطلقونها كل حين حول إقالة الفريق أول "عبد الفتاح السيسي" تعبر عن حلم يراودهم باستبداله بوزير متعاطف مع الإخوان إن لم يكن إخوانيا كما هو

الحال مع وزير الداخلية اللواء "محمد إبراهيم"، والذي صار أطوع لمكتب الإرشاد من أحد شباب الإخوان. مازالت قيادة الجيش المصري الوطنية عقبة أمام الإخوان في طريق التمكين.

"الحائز على سلطة دينية" .. مسلسل التحرش بالإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ "أحمد الطيب" مازال مستمرا، واختراق الأزهر على مستوى اتحاد الطلاب وقيادات بعض الكليات تم بالفعل، ومازال يتطور على قدم وساق. إذن فالأزهر الشريف هو العقبة الثانية، حيث يعتبره معظم المصريين مرجعهم الديني الوحيد.

وعلى ما سبق، فالإخوان وصلوا اليوم لنوع من الاستبداد بالفعل، ولا يفصلهم عن حالة الاستبداد القصوى التي نعوذ بالله من وصولهم إليها إلا ثلاث عقبات: القضاء والجيش والأزهر الشريف.

هذه الأهداف الثلاثة ستكون محور الصراع بيننا وبين الإخوان خلال الفترة القادمة في مصر، والهزيمة في هذه المعركة رفاهية لا نملكها لأنها صارت معركة وجود، وليست خصومة سياسية كما يدعون.

أساطير حضرية معاصرة

٢٢ أبريل ٢٠١٣م

لا يعيش المستبد إلا على تشويه وعي الشعوب، وقد راجت بيننا بعد أزمة الإعلان الدستوري في نوفمبر الماضي بعض الأساطير الحضرية التي يهدف بها النظام القائم لتشويه الوعي الشعبي بما يخدم مصالحه، واليوم نرد على مجموعة جديدة من تلك الأساطير الرائجة.

أسطورة "السلفيون قادمون"

اليوم يهددوننا بمن كانوا حلفاءهم بالأمس القريب! فتسمع الإخواني يقول "لو ذهب الإخوان سوف يأتي السلفيون ويفعلون بكم الأفاعيل". هذا بالطبع بعدما اختلفوا فيما بينهم على تقسيم الغنائم، وشعر السلفيون بأنهم حصلوا على نصيب المغبون في الوظائف والنفوذ.

من يعرف المصريين حق المعرفة يفهم أننا شعب لديه حس ديني، لكن لديه بذات الوقت نفور طبيعي من التطرف على عكس الشعوب الصحراوية والجبلية، نحن أبناء الوادي الخصيب المنفتح من جهتين على أهم بحار العالم والمحتك بحضاراته عبر القرون. المصري لديه ورع فطري لكنه كذلك محب للحياة، و"بالبلدي ميحبش حد يخنقه"، و"الشباشب الحريمي" التي واجهت محاولات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القاهرة والإسكندرية والقليوبية دليل بسيط على هذا.

ولهذا فأقصى ما يمكن أن يحصده السلفيون من هذا المجتمع في يوم سعدهم هو ٢٠-٢٥% من أصوات المصريين، خاصة وهم في معظمهم يجاهرون بالرأي المتطرف ولا يعتمدون مبدأ التقية الإخواني.

أسطورة "الحياد الإعلامي والصحفي"

"الإعلام غير محايد والصحافة غير محايدة". عبارة يكررونها كثيرا، لكن من قال من الأساس أن الصحفي أو الإعلامي مطالب بأن يكون محايدا؟ الإعلام والصحافة بضاعتهما الفكر، والحياد الفكري أسطورة كبيرة. ومن يروجون لها يخلطون عمدا بين مفهوم الموضوعية المطلوب بالفعل في الإعلام وبين مفهوم الحياد.

تعرف الموضوعية بأنها "تناول المواضيع بعيدا عن الشخصنة والاعتماد على الأدلة والبراهين العقلية التي تثبت الحقيقة وتطابق الواقع" فأنا ككاتب يقف موقف الخصومة الفكرية والسياسية من جماعة الإخوان مطالب بأن ألتزم الحقائق والاستدلال المنطقي في التدليل على صحة موقفي هذا، وأن أبتعد عن الكلام المرسل ومداعبة العواطف. وهذا أمر يختلف عن الحياد الذي يقتضي التخلي عن موقفي المبني على أفكاري وثقافتي، لأصبح محايدا كالماء بلا لون ولا طعم ولا رائحة.

وهكذا، ينبغي أن يوصف الإعلامي بعدم الموضوعية لو روج للأكاذيب أو استدل بالاستدلال غير المنطقي وغير المنهجي، ولكنه لا يوصف بهذا عندما يعبر عن مبدأه ويفند آراء الخصم بالدليل والبرهان.

أسطورة "الفلول ضد الإخوان"

الفلول بالنسبة لي هم الأفراد الذين كانوا منتفعين من النظام السابق بصورة أو أخرى، ولهذا كانوا داعمين له. هؤلاء بطبيعتهم آكلون على كل الموائد ورجال لكل العصور، ولا يتورطون أبدا في خصومة مع السلطة القائمة، لهذا انتهت خصومتهم مع الإخوان يوم وصلوا للسلطة وصاروا لهم من المريدين والمحبين. هذا هو المنطق الطبيعي. النظام السابق لم يكن مؤسسا على فكرة أو مبدأ أو أيديولوجية حتى يكون فلوله اليوم فصائل مقاومة ضد النظام الحالي المناهض لفكرهم.

أسطورة "الجيش الموالي للأمريكان"

يحاول البعض عن عمد أو جهل تصدير صورة للمواطن مفادها أن القوات المسلحة المصرية موالية للولايات المتحدة، والهدف طبعا هو خلق حالة من فقدان الثقة في كل شيء، وهو أمر بالغ الخطورة حين يتعلق الحديث بالجيش العربي الأكبر والأقوى نسبيا في المنطقة.

فُرِضَتْ بواقع الحال على قواتنا المسلحة وقيادتها منذ نهاية السبعينات علاقاتٍ وطيدة مع الولايات المتحدة لكونها المصدر الرئيسي لتسليح الجيش المصري، وأي جيش محترف في العالم يرتبط بعلاقات واتصالات مستمرة وتبادل زيارات وخبرات مع مصدر سلاحه، وهو أمر كان قائما مع الاتحاد السوفيتي السابق وقتما كان مصدر السلاح الرئيسي للعرب في صراعهم مع الصهاينة، وتحول ليصبح علاقات قوية مع الأمريكان بعدما حوّل صانع القرار السياسي في السبعينات الدفة نحو أمريكا. ببساطة يمكننا القول بأن مصدر السلاح قرار سياسي وليس عسكري، والمسئول عن تحويله ليصبح بيد الأمريكي[٣] هو رئيس الجمهورية منذ "السادات" وحتى اليوم.

---

[٣] على ما في هذا التحول من علة بطبيعة الحال، حيث يصبح مصدر سلاحنا الأول هو الحليف الأكبر لعدونا الاستراتيجي

قباحة "باسم" وحكاية الشعب الخجول

١٦ أبريل ٢٠١٣م

المشهد الأول: يثار موضوع برنامج "باسم يوسف" الساخر في جلسة السيدات في النادي، فتعقد السيدة المحترمة حاجبيها وتقول "لأ هو الحقيقة مزودها قوي .. أوفر آخر حاجة". يحدث هذا في يوم السبت، بينما كانت ضحكتها على قباحة "باسم" مسمعة الجيران ليلة الجمعة. هذا المشهد يثير موضوع تاريخ القباحة الاجتماعية في مصر.

المشهد الثاني: المذيع المسبسب يسأل ضيفه المهذب عن السخرية من الرئيس وهل يمكن أن تصل لهذا الحد، فيجيب الضيف: "لا يمكن أن تصل لهذا الحد، فتقاليد شعبنا العريقة ترفض هذه السخرية الفاضحة". رفض القباحة هذا رأيه وهو حر فيه، لكن بخصوص تقاليد الشعب في درجة وقباحة السخرية من الحكام، يسمح لي أقول له: هو حضرتك كنت فين المائة سنة اللي فاتوا؟

لا أناقش هنا ما هو الصواب وما هو الخطأ، ولا أناقش كذلك الذوق الشخصي لكل منا والذي يجعله يحب هذا ويكره ذاك، ولكني أناقش مقولة لم تختبر، مفادها أننا شعب خجول وتقاليده العريقة تمنعَ السخرية لهذه الدرجة من الحكام، فالحقيقة التي تدلل عليها السطور القادمة أننا شعب "قبيح سياسيا" على مر تاريخه المعاصر وفي مجمله، و"قبيح اجتماعيا" كذلك ما عدا الطبقة الوسطى المثقفة منه.

تاريخ القباحة السياسية

نبدأ بتاريخ القباحة السياسية العريقة والقديمة قدم الإعلام ذاته، عندما صار السلطان "فؤاد" ملكا على مصر بعد تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م من قبل

الإنجليز، نشر عمنا "بيرم التونسي" في مجلة المسلة قصيدة بعنوان "مجرم ودون" قال فيها:

ولما عدمنا بمصـــــر الملـــــوك

جابوك الانجليز يا فـــؤاد قعدوك

تمثل على العـــرش دور الملـــوك

وفين يلقوا مجـــرم نظيرك ودون؟

***

وخلوك تخالـــــط بنات البـــلاد

على شرط تقطـــــع رقاب العباد

وتنسى زمان وقـــــفتك يا فؤاد

على البنك تشحـــت شوية زتون

***

بذلنا ... ولسة بنبذل نفـــــوس

وقلنا عسى الله يزول الكـــابوس

ما نابنا إلا عرشك يا تيس التيـــوس

لا مصر استقلت .. ولا يحـــزنون[4]

وكان قد نشر قبلها مصيبة أخرى بعنوان "القرع السلطاني" حول علاقة بين الأميرة "فايقة" ابنة السلطان "فؤاد" من زوجته الأولى "شويكار" وبين محافظ

---

[4] البيتين الآخرين كانت خلفيتهم تضحيات المصريين في ثورة ١٩١٩م والتي انتهت بعرش فؤاد

القاهرة، والإسراع في زواجها من "محمود فخري" باشا لتنجب طفلا بعد أربعة شهور فقط[*]، وجاء في تلك المناسبة:

مرمر زماني ... يا زماني مرمـــــــر
البنت ماشية من زمان تتمخـــــــطر
والغفلة زارعة ف الديوان قرع أخضر
تشوف حبيبها في الجاكـــتة الكاكي
والستة خيل والقمشجي المـــــلاكي
تسمع قولتها "..........." يا وراكي
والعافية هــــــبلة والجدع متشطر
الوزة من قبل الفــــرح مدبوحـــــة
والعطفة من قبل النظـــام مفتوحـــة
والديك بيدن والهانم مسطـــــوحة
تقرا الحوادث في جــــريدة كـــــتر
ولما جت تتجـــــوز المفضـــــوحة
قلت اسكتوا خــــلوا البنات تتستر

أغلقت مجلة المسلة بعد تلك القصيدة فنشر "بيرم" مجلة "الخازوق" واشتراها الشعب الخجول بهذا الاسم القبيح الفاضح ونشر بها "بيرم" المزيد من الهجوم على الملك حتى استعان "فؤاد" بالسلطات الفرنسية لترحيله لأنه مواطن تونسي، وكانت تونس تحت الانتداب وقتها.

---

[*] شاع خطأ أن القصيدة كتبت عن ولادة الملك السابق "فاروق" وهو ما ثبت خطأه بالبحث في التواريخ لأنها منشورة قبل ولادته بأعوام

هذا بخصوص قباحة الإعلام السياسي، أما بخصوص قباحة الهتافات فقد سجل التاريخ بعهد "فاروق" هتافا يقول "ويكا يا ويكا هات أمك من أمريكا" إشارة لسلوك الملكة نازلي في أمريكا، وسافر الملك وجاب والدته من الولايات المتحدة فعلا، وقبلها وبينما كان الملك صبيا تحت الوصاية خرج الهتاف بالغ القباحة "ملك البلاد يا زين .. يا فاروق يا نور العين .. أمك ...."، إلى آخر الهتاف الخارج الذي يشير لما شاع وقتها عن علاقة الملكة الأم بعلي ماهر وأحمد حسنين.

وقبل كل هذا أشعار الفجومي التي أطلقت على رئيس الجمهورية في حينه ألقاب "البتاع" و"أوأة المجنون أبو برقوقة" و"عبد الجبار" وغيرها؟

تحبوا نرجع لورا في التاريخ لما قبل العهد الملكي كمان؟ راجعوا في كتب التاريخ، لتروا كيف انتقمت زوجة "أيبك" الأولى من "شجرة الدر" بعد قتلها، وطالعوا الأهازيج التي كانت تستخدم لتجريس رجال السلطان المملوكي المخلوع وهم يركبون بالمقلوب على حمار والجرس يرن في يد "المجرساتي" الموكل بعملية "التجريس"، التي صارت تعبيرا عن الفضيحة (الجرسة) حتى اليوم.

يعني ببساطة لا يوجد اضطهاد للرئيس الإخواني إلا في هلاوس الإخوان، والمهم هنا أن أحدا من هؤلاء الحكام لم يعلق فشله على قباحة الهتاف أو الإعلام أو النكات ولا شغل نفسه بها وصارت حديثه في كل موطن، فعلى من يضطلع بمنصب عام أن يعرف أن هذا الشعب منفلت في تنكيته وسخريته وعليه ألا يشغل باله بما يقال وينشغل بما يمكنه أن يقدمه، وما زاد بعد الثورة هو عودة الإعلام لسابق عهده في الحرية التي سبقت عصور الرقابة على الإعلام، ببساطة لأن ثورة قامت لترفض تلك الرقابة، وكان الإخوان ضمن من يرفضونها أيام "مبارك" ويلوذون بمن يشتمونهم اليوم من الإعلاميين لنشر مقال أو الظهور في لقاء إعلامي.

القباحة الاجتماعية

تلك القباحة التي استثنيت منها الطبقة الوسطى المثقفة (إلى حد ما يعني)، ومن لا يدرك عمق القباحة في التراث المصري عليه العودة لأغاني الزفاف والحصاد الريفية كمثل على قباحة الوعي الجمعي المصري سواء قبلنا أو رفضنا، تحبوا نشوف عينة مع بعض؟ الفلاحين أمثالي يعرفون الكلمات الأصلية الكاملة لأغنية "ياللي على الترعة حود ع المالح" وكلمات أغنية الزفاف "قولوا لأبوها الدم بل الفرشة .. قولوا لأبوها إن كان جعان يتعشى .. يا ليلة بيضا ونادية علينا الليلة .. ست العرايس شرفتنا الليلة" وكذلك مفهوم "العجل هد المصطبة"، و"اتدحرج واجري يا رمان وتعالى على حجري يا رمان ده أنا حجري حنين ...."، وأبناء الطبقات الشعبية في المدن يعرفون الألفاظ النابية المصاحبة لطشة الملوخية. ويعرفون الكلمات المصاحبة لعادة "كب طشت الحموم" أمام المترل صباح الجمعة، ولن أسهب في هذا الموضوع، وإنما أردت فقد التدليل على وجود السخرية القبيحة والفن القبيح في التراث المصري.

وختاما، من حقك ألا تعجبك قباحة "باسم يوسف" أو قباحة هذا المقال، ولكن من فضلك لا تصدر حكما عما تجهله من تاريخ المصريين ووعيهم الجمعي. في النهاية "باسم" مذيع لا يمثل غير نفسه ولك أن تحبه فتشاهده أو تكرهه فتغلق التليفزيون، ولكن الأولى بك أن تجفل من قباحة تفرض علينا وعليك عندما تصدر من وزير الإعلام وتعليقاته حول سخونة مذيعة قناة العربية، وتعليقه الصفيق الأخير مجيبا على صحفية مصرية، لأن هذه قباحة تفرض عليك من شخص يمثل الدولة ولا يمثل نفسه فقط. ولا لما تصدر القباحة من مسئول يبقى الشعار هو: "كله ماشي"؟

العنف من رحم البلادة

١٥ أبريل ٢٠١٣م

يعرف كل طبيب مفهوم العلاج بالتعرض التدريجي في علاج أمراض الحساسية وبعض حالات الرهاب المرضي كالخوف من الأماكن المرتفعة وغيرها، وهو علاج يقوم على تعرُّض المريض لجرعات متزايدة من المسبب المرضي ليتعود الجسم عليه ويفقد حساسيته نحوه، كما يعرف أن بعض الحواس كالسمع مثلا تتبلد وتفقد حدتها مع التعرض المستمر لمؤثر خارجي قوي فوق العادة (Desensitization).

من واقع زياراتي المتكررة لبعض البلدان العربية التي أصيبت بالسيولة السياسية كلبنان، أو التفكك الوطني والانفلات الأمني كالسودان والعراق، رأيت كيف ينطبق ذلك المفهوم الطبي على الواقع السياسي، حيث يؤدي تعود المصائب والكوارث بالشعوب لحالة من التعايش مع تلك الكوارث والتكيف معها، فهكذا تعود الشعب اللبناني الحبيب على حقيقة زعماء الفرق والطوائف والمناوشات المتكررة بين الفرقاء والتي تصل كثيرا لحد استخدام السلاح، وعلى ضعف إمكانات الدولة والحكومة المركزية مقارنة بإمكانات الأحزاب المختلفة، وتعود الشعب العراقي العريق على العنف اليومي حتى صار يتعامل مع انفجار سيارة مفخخة كأنه حادث سير، وعلى حقيقة الانفصال الفعلي للشمال في شكل حكم ذاتي، وتعود الشقيق السوداني على حكومة متخلفة فقدت وحدة الوطن دون أن ينبذها شعبها نبذ النواة.

الشعوب تتكيف ويتبلد لديها الشعور بفداحة المصائب الوطنية بتكرار تلك المصائب وتواترها حتى تصبح حياة يومية. وهذا هو أعظم ما أخشاه على مصر اليوم، ولا يقولن أحدكم "مصر مختلفة"، فالمبدأ العقيم: "هذه الأمور لا تحدث لي

ولكن للآخرين فقط" لا يغني من الواقع شيئا ولا يغير منه شيئا. وقد كتبت مقالا عن الحروب العشرية في الجزائر والخوف من سيناريو مقارب في مصر منذ عام ونصف فسمعت شعار "مصر مختلفة" من أعزاء أرجو أن يكونوا قد راجعوا فكرهم الآن بعدما جرت مياه كثيرة تحت الجسور.

أعرف أن لشعبنا المصري ردود فعل غير متوقعة – وأحيانا غير مبررة – تذهلنا جميعا، لكن آخر رد فعل شعبي مناسب للحدث برأيي كان الثلاثاء العظيم عند أسوار الاتحادية في نوفمبر الماضي ردا على الإعلان الدستوري. اليوم، غياب رد الفعل فيما يخص تصريحات مساعد الرئيس السوداني حول منطقة حلايب وشلاتين وحتى تبرير الرئاسة المصرية لها، وكذلك فيما يخص أحداث الكاتدرائية المرقسية،كلاهما يثير القلق من عودة المصريين لحالة التكيف مع الواقع المرير التي كانوا عليها أيام حكم "مبارك"، ومن عاش فعاليات الشارع السياسي منذ ٢٠٠٧م مع كفاية وما بعدها يعرف تلك الحالة التي كانت الجماهير عليها جيدا، فنفس الجماهير التي التحمت بالنشطاء في ٢٨ يناير هي الجماهير التي كانت تنظر باستهانة للمظاهرات، وذلك قبل أن تثبت لها الثورة التونسية أن التظاهرة قد تسقط نظاما. فهل نحن أمام حالة عودة للبلادة؟

الأمر الأخطر في حالة التبلد الجماهيري أنه الدافع الأكبر الذي يدفع الأمور باتجاه العنف السياسي، فقد شهد الصراع الممتد منذ الثورة بين القوى الوطنية واليمين المتطرف الديني (ممثلا في الإخوان وحلفائهم) مرحلتين واضحتي التمايز:

- المرحلة الأولى: امتدت منذ الثورة وحتى نوفمبر الماضي وكانت تعتمد في الأساس على قدرة الطرفين على حشد الجماهير غير المسيسة وكسب تعاطفها، وقد اتسمت تلك المرحلة بسلمية واضحة، وبسيطرة كل طرف على نزعات العنف عند بعض الأفراد المنتمين إليه، فكانت مظاهر العنف فيها قاصرة على الصدام مع السلطة الحاكمة، والتي تنسحب على إثرها الجماهير ليبقى النشطاء والشباب وحدهم في الميدان.

- المرحلة الثانية: والتي بدأها الإخوان في فض اعتصام الاتحادية في نوفمبر، وقد خسر فيها طرفي الصراع السياسي جانبا كبيرا من قدرتهم على حشد المتعاطفين واعتمد كل منهما في فعالياته على المنتمين إليه مباشرة بنسبة كبيرة. بينما اكتفت الجماهير المتعاطفة مع أي من الفريقين بمشاهدة قنواته وقراءة صحفه وربما الحماس في الحديث عنه بعيدا عن فعاليات الشارع، لأن الحماس الباقي لديها يكفي فقط للحديث وليس للاستجابة للحشد، فاتسمت الفعاليات الجماهيرية بعد الثلاثاء العظيم بصفة عامة بمحدودية عدد المشاركين من الجماهير مقارنة بما قبلها، ولم يكن هذا العجز عن الحشد قاصرا على التيار المدني ولكنه كذلك أصاب قدرة اليمين الديني على الحشد فاقتصر على كوادره، ونكبة المقطم التي حلت بحشود إخوان المحافظات والتي لخصتها "نوارة نجم" بقولها "الإخوان انحط عليهم حطة تاريخية" أوضح دليل.

العجز عن الحشد يخلق حالة من اليأس غير الظاهر تولد العنف، تماما كالزوج العنين الذي يضرب زوجته ليغطي شعوره بالعجز واليأس، والأهم أن غياب الحشود بسبب تبلد الجماهير يغري الطرف المتسم بالغدر باستخدام العنف ضد الأعداد القليلة، فما كان الإخوان ليقتحموا اعتصام الاتحادية إلا وبه بضعة عشرات. فتكون المحصلة هي المزيد من عزوف الجماهير عن المشاركة في أي فعاليات خوفا من العنف، وهكذا ندخل حلقة مفرغة، غياب الحشود يزيد فرصة العنف، والعنف ينفر الجماهير أكثر فأكثر. ولو كانت تلك هي خطة الإخوان يوم جروا الشارع للعنف فهم أغبياء لأن هذا لا ينهي مشاكلهم، فقط يحولها من مظاهرات حاشدة سلمية إلى مظاهرات قليلة العدد مستعدة لمواجهة العنف بالعنف، وهذا أخطر على أي نظام حاكم.

والحل؟ ما هو الحل؟

الحل هو تبني ثقافة الجمع والتوقف عن ثقافة الطرح.

الحل هو أن نتصالح كجماعة وطنية رافضة لمشروع الجماعة مع أنفسنا أولا، فعلينا بذل المزيد من الجهد حتى نعيد النشاط والحمية لعروق الجماهير ضد مؤامرة

الجماعة على الوطن وعلى فكرة الوطنية ذاتها، ولا داعي في هذا لأن يسفه أي منا جهد الآخر، لا داعي لأن يكتب الشاب مسفها دور النخب ولا العكس، ولا داعي لتسفيه العمل الفكري والظهور الإعلامي من جانب من يدعون للنزول للمحافظات والنجوع، نحن بحاجة لحالة ضخمة من تراكم الرأي العام الرافض لمشروع الجماعة، للنخب في هذا دور مفيد ولكل وجه تعرفه الجماهير دور مفيد، وللشباب دور حيوي، وللقوى السياسية دور كبير. العمل الجماهيري أمر حتمي ولكن الظهور الإعلامي كذلك حتمي، ويجب أن يكون محليا ودوليا، لأن القضية على المستوى الدولي غائمة وصوت البرادعي وحده لا يكفي لتغطية الرأي العام العالمي. ولا يقولن لي أحد أن الدعاية الدولية لقضيتنا العادلة استقواء بالخارج، وإلا كان "مصطفى كامل" و"سعد زغلول" أول "المستقوين" بالخارج.

في النهاية هناك الكثير بوسعنا القيام به، فقط علينا أن نستعيد الحماس الذي كنا نعمل به ضد "مبارك" وأن ننفض عنا غبار عامين من العناء.

عسكر فوبيا .. عسكر فيليا

٢٤ فبراير ٢٠١٣م

لو كان أمرا مقبولا من السياسي أن يضع نفسه خلف الجماهير ويساير عقلها الجمعي كما تقول جبهة الإنقاذ في بياناتها، فهو أمر غير مقبول من الكاتب والمثقف قطعا، بل إن دوره أن يقول ما يعتقد أنه الحق ولو اقتضى هذا أن يسبح منفردا ضد تيار الجماهير وأن يصطدم بشدة بعقلها الجمعي، واليوم وبعد فترة توقف عن الكتابة أردت أن أفند بعض العبارات الشائعة في الشارع السياسي المصري والتي كادت أن تتحول لتابوهات من كثرة ما رددناها، وكليشيهات لا يعارضها أحد إلا على استحياء:

كليشيه ١: الخطأ أننا تركنا الميدان في ١١ فبراير قبل تعيين مجلس رئاسي مدني، وتركنا البلد للمجلس العسكري.

لم يكن هذا خطأ، أو بمعنى أدق لم يكن غيره ممكنا لعدة أسباب وهي:

- قامت ثورة يناير قبل أن يتكون تيار وطني غالب في الشارع المصري، فلم تفرز قيادة سياسية وتيارا تثق به الجماهير لقيادة العمل الوطني، لهذا كانت القوى الثورية في الميدان غير متجانسة، وحتى اليوم لا يمكننا الاتفاق على ثلاثة أو خمسة أسماء لتشكيل مثل هذا المجلس. لهذا كنا نحتاج – ولينكر هذا من ينكر – لدور الجيش، ولهذا كتبت رأيي في يوم ٥ فبراير ٢٠١١م في صورة خطاب مفتوح للقائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس الأركان مطالبا بتدخل القوات المسلحة لإنهاء الوضع العالق.

- قوى اليمين الديني الانتهازية والتي كانت موجودة بالميدان كانت ستقاتل ليفشل التوجه نحو مجلس رئاسي مدني قطعا ولو وصل الأمر للاقتتال الفعلي وليس المجازي داخل الميدان.

- حالة الارتياح الجماهيري العام بعد خطاب التنحي الذي ألقاه "عمر سليمان"، ثم بيان الجيش وتحية الشهداء الشهيرة، تلك الحالة تقول أننا لو لم نترك الميدان صبيحة يوم التنحي لخرجت علينا جماهير "الاستقرار" بالشباشب.

كليشيه ٢: دور الجيش هو حماية الحدود ولا دور له في الحياة السياسية.

وهو كليشيه يقابله آخر مناقض له:

كليشيه ٣: الجيش هو الحل .. المصريين مينفعش يحكمهم غير عسكري.

كليشيه ٢ يتبناه المصابون بمرض "عسكر فوبيا" أو "رهاب العسكريين" أما كليشيه ٣ المضاد له فيقوله المصابون بمرض "عسكر فيليا" أو الميل المرضي للعسكريين لو جاز التعبير. والاثنان برأينا على خطأ والحق وسط بينهما، فدور الجيش هو حماية الأمن القومي من كل ما يهدده، وإلا فلماذا رحبنا بضغط الجيش على "مبارك" حتى يتخلى عن سلطته؟ لأن استمراره في العناد كان خطرا على الأمن القومي لمصر. فتدخل الجيش في أوقات الانسداد السياسي لحماية أمن الدولة ومنع انهيارها هو من صلب دوره التاريخي. وتصدي الجيش لتسيير أعمال الدولة في المرحلة الانتقالية ليس "حكم عسكر" ولا هو وضع قابل للتمديد بلا نهاية في بلد بحجم ودور مصر، والخوف من هذا فوبيا مرضية غير مبررة. هذا ما يحتاج لفهمه مرضى العسكر فوبيا.

وبالمقابل، المصريون شعب كبقية خلق الله يمكن أن يحكمهم المدنيون، وهذا لا ينفي دور الجيش في حالات تهديد الأمن القومي أو تهديد الدولة بالانهيار، لكنه لا يجعل هذا الدور أبديا ولا مقدسا ولا يجعل العسكريين خلال ممارسة الحكم في المرحلة الانتقالية فوق النقد، هذا ما يحتاج مرضى "العسكر فيليا" لفهمه.

والعسكر فوبيا مرض صار أكثر شيوعا بين الناشطين والقوى السياسية، وكان الإخوان حريصين دوما على تعميق هذا الرهاب في نفوسهم خلال المرحلة الانتقالية. رغم أن أقصى ما تريده المؤسسة العسكرية في دولة بحجم مصر ووضعها

هو الحفاظ على موارد الجيش الاقتصادية واستقلال قراره الداخلي وامتيازات أفراده، وهي أمور في مجملها قابلة للتفاوض ولا تتعارض مع جوهر الثورة وأهدافها. لكننا بالتصلب والتشنج فرضنا على المؤسسة العسكرية أن تحقق ما تريد بالتحالف مع الإخوان. لكن العسكر فوبيا خلقت فوبيا عند الجيش من السياسة بدوره، وأصبحت تمنعه من القيام بدوره في حالات الانسداد السياسي كالحالة الراهنة، فمن هو القائد العسكري الذي سيغامر بمواجهة السلطة ليجد الناشطين في الشارع بعد شهر يطالبون بمحاكمته؟

كليشيه ٤ : لا يوجد لدى المعارضة بديل لمرسي في حالة سقوطه، والإخوان هم الفصيل المنظم الوحيد القادر على الحكم.

والله زمان هذه النغمة؟ قديما قلتم ليس لديكم بديل لمبارك ونظامه، والحقيقة أن مصر لم تعقم لا أمس ولا اليوم، وبها عشرات الآلاف ممن يشرفونها في مقعد الرئاسة بأداء أفضل من "مرسي" والأهم أن ولاءهم لمصر وليس لجماعة تمتد بوجودها خارج حدود مصر.

أما الشكل التنظيمي للإخوان فهو بدائي ونمطي، ومستلهم من مصدرين هما "جيش الإخوان" الذي وحد به "عبد العزيز آل سعود" مملكته في مطلع القرن، ومن اسمهم استلهم "حسن البنا" اسم تنظيمه وفرق كشافته، والتنظيم الماسوني العالمي الذي استلهم منه البنا درجات العضوية، وفكرة التنظيم الدولي، وحتى مسمى "المرشد العام" المقابل للقب "جراند سينيكال" لدى الماسون، وذلك حينما كان المحفل الماسوني ناشطا في مدن القناة أثناء إقامة "البنا" بها، هذا التنظيم النمطي لا علاقة له بقدرات إدارة الدولة، بل بإدارة الانتخابات وحشد الأتوبيسات في أحسن الأحوال. كما أن جماعة الإخوان طاردة دائما لأفضل عناصرها، والعقول الكبيرة التي انتمت لها يوما تحمل جميعا لقب "عضو سابق"، لهذا فهي آخر فصيل مؤهل لإدارة البلاد.

كليشيه ٥: الإخوان لو تركوا السلطة هيولعوا في البلد.

الإخوان كانوا عبر ٨٠ عاما من تاريخهم أجبن من الاصطدام بسلطة حازمة، وأدبياهم كانت دوما مشغولة بسلامة التنظيم ولهذا لم يصنعوا ثورة أبدا، فلا داعي للتهويل علينا بأساطيرهم، وعلى من يحب أن يتأكد مراجعة حوار المؤسس "حسن البنا" مع مدير مكتب "النقراشي" باشا وقتما كان الأخير ينتوي حل الجماعة.

كليشيه ٦: لو أسقط التيار المدني مرسي سوف يسقط التيار الديني أي رئيس جديد وندخل في حلقة مفرغة.

لا يوجد تيار سياسي بمفرده قادر على إسقاط رئيس، لو سقط "مرسي" فسوف يسقط لأن السخط الجماهيري العام وصل لدرجة كافية بسبب سوء إدارته، وليس لأن جبهة الإنقاذ تريد ذلك، وأي رئيس قادم لن يتوقف مصيره على مزاج الإخوان والتيار الديني ولكن على كفاءته في إدارة البلاد التي ستصنع له درعا واقيا من رضا الجماهير، أو بالمقابل عدم كفاءته التي ستودي به لمصير مشابه.

كليشيه ٧: المعارضة ليس لديها خارطة طريق.

خارطة الطريق الصحيحة واضحة منذ البداية وليست اختراعا، بل سارت عليها شعوب كثيرة فوصلت لبر الأمان، لكن الهوى والغرض الذي أدى بنا لبدأ مباريات التنافس السياسي قبل بناء الملعب حاد بنا عن هذه الخريطة المضمونة، والتي لن تستعيد مصر توازنها بغيرها، وخارطة الطريق هي مرحلة انتقالية لمدة عامين يشرف عليها القضاء وتتولى القوات المسلحة تأمينها، ويتم فيها:

- تشكيل جمعية وطنية من ١٥٠ إلى ٢٠٠ فرد من العقول والكفاءات والخبرات العلمية والقانونية غير المسيسة، تقوم هذه الجمعية بدور السلطة التأسيسية والتشريعية في المرحلة الانتقالية التي يتم خلالها وضع دستور يليق بمصر وتضحيات شعبها، ووضع منظومة قوانين النهضة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية.

- تضع الجمعية قوانين العدالة الانتقالية الكفيلة بتحقيق القصاص في قضايا الدم، ثم المصالحة الوطنية فيما دون ذلك لإغلاق ملفات ما قبل الثورة وعدم تركها عالقة.

- تكلف وزارة فنية غير مسيسة بإدارة البلاد وتحدد لها أولويات اقتصادية واجتماعية واضحة وتراقب الجمعية الوطنية عملها.

- في نهاية الفترة الانتقالية تتم انتخابات عامة (الرئاسة والبرلمان معا) وبهذا تنتهي المرحلة الانتقالية.

فما مررنا به كان "مرحلة انتكاسية" للوراء وليس مرحلة انتقالية للأمام.

كليشيه ٨: الإخوان سيطروا على الجيش، والفريق السيسي يميل للإخوان.

هذا ما يشيعه الإخوان ليبثوا اليأس في النفوس، وهو ما أوقن أنه غير حقيقي عن معلومات وليس عن تحليل أو استنباط. وهو ما يدل على مدى رعبهم من دور محتمل للمؤسسة العسكرية في حسم الحالة العالقة، لكن هذا لن يحدث من جانب الجيش تطوعا وابتداء، ولكن كاستجابة لثورة شعبية كاسحة.

يحدث عندما لا أكتب

٢١ يناير ٢٠١٣م

عندما لا أكتب أدرك أن الموت تقدم خطوات في معركته مع الحياة داخل جسدي وعقلي.

عندما لا أكتب أعرف أن الآخر الذي لا أحبه يسرق فترة من عمري، يعيش بدلا مني، يرتدي جلدي، وينتحل صوتي، وينظر من خلف عيني، لكنه ليس أنا قطعا ويقينا.

عندما لا أكتب فذلك يعني أن كل حواسي فوق الخمس التقليدية معطلة .. وأنني عدت كيوم ولدت كائنا بدائيا.

عندما لا أكتب أوقن أن كل الأدوية لم تعد كافية .. وأني بحاجة لتحرك مبضع الجراح في أحشاء حياتي.

الحياة .. الحماس .. الحب .. الإيمان .. كلمات يبدأ تعريفها جميعا عندي بالكتابة، وعندما لا أكتب فذلك يعني أنها جميعا ليست بخير فيما يخصني.

عندما لا أكتب أصبح مستعدا لاتهام نفسي وكل من حولي بتهمة اغتيال الكتابة، ككل من وجد عزيزا لديه قتيلا، ولا يملك دليلا ضد أحد، فيتهم الناس جميعا.

عندما لا أكتب أرى دائما الجانب السلبي في الأشياء .. لأنني فقدت أكثر جوانبي إيجابية.

عندما لا أكتب تتشابه كل الأشياء ويتشابه كل البشر لأنني ببساطة فقدت نظارتي التي أميز بها بين الأشياء.

علمتني الزراعة أن الغصون الجافة الجدباء يجب أن تكسر لأنها تهدر الماء والغذاء فتعيق التوريق والإثمار .. وعلمتني الكتابة أن الحلقات المفرغة في الحياة يجب أن تكسر لأنها تمتص طاقة العقل فتعيقنا عن الإنتاج الفكري والخلق الإبداعي.

الكتابة طاقة إيجابية عندما تمارس وتصبح تواصلا مع القاريء، لكنها تتحول إلى طاقة سلبية مدمرة عندما تحبسها في رأسك.

لا أعرف نفسي إلا كاتبا، لهذا عرفت دائما أن نمط الحياة الذي لا يعين كاتبا على الكتابة هو بحقيقته نمط موت وليس نمط حياة. فالكاتب صفة مرتبطة بفعل الكتابة، وتنتفي بغياب الفعل، فتنتفي الذات.

رسائل قصيرة في العام الجديد

٣١ ديسمبر ٢٠١٢م

اليوم، ومع اقتراب بداية العام الثالث بعد الثورة ونحن فيما تعرفون، أهدي تلك الرسائل الخاصة لبعض من أحب وأحترم وكذلك لبعض من أختصم، في مطلع عام جديد من النضال الوطني والفكري ضد معسكر التمكين الإخواني والهوى الأمريكي.

إلى المناضل حمدين صباحي:

أعرف أنك تقود الصوت المعارض لسياسة مقاطعة كل شيء في جبهة الإنقاذ، كن أكثر إصرارا على خوض المعارك حتى لا تتحلل الجبهة بالسكون. دُمتَ نسرا في الحق.

إلى الدكتور محمد البرادعي:

المعركة الآن تحتاج لجسارة الثائر وميله للمواجهة أكثر من رصانة القانوني ونفسه الطويل، قدرك ودورك وإن اختلفنا معك لا يشكك فيهما إلا أفاق، دمت بكل الخير.

إلى المناضلة جميلة إسماعيل:

من معركة انتخابات ٢٠٠٥ لمعركة عمر مكرم ٢٠١٠ وحتى معركة "لا للدستور" والمراقبة المدنية على الاستفتاء، مواقفك مثال للمرأة الثائرة والأم المصرية. نحتاجك غدا أكثر مما احتجناك أمس، دمت مناضلة نافذة الرؤية.

إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل:

أنت أستاذنا كما كنت دوما وكفى. دمت لنا بألف خير.

إلى الدكتور عبد الحليم قنديل:

أيها الراكب على حصان الجسارة والصارخ في برية الحقيقة، أبقاك لنا الله دوما دليلا ومرشدا في ظلمات الواقع، وأدام لنا قلمك شوكة في حلق الباطل.

إلى الأستاذ إبراهيم عيسى:

الفارس الذي يتألق كلما زادت وقاحة الخصم وفجاجته في المعارك، وزاد قبح الواقع وبعده عن الأحلام. دمت مغوارا بالقلم والصوت.

إلى الدكتور محمد العدل:

الجدع جدع والجبان جبان، دمت للفن والجدعنه يا دكتور أنت وكل الرفاق من شلة الشباب الدائم.

إلى الدكتور علاء الأسواني:

خضت معارك الحرية بقلمك منذ ٢٠٠٤م على صفحات العربي الناصري وكنت في الخندق الصحيح حتى ٢٠١٢م، وقعت في فخ الاختيار بين السيء والأسوء، ثم عدت بسرعة، فعودا حميدا. دمت بخير.

إلى الأستاذ بلال فضل:

دور المثقف ليس الوقوف مع القافلة ليعطي فرصة للحاكم، ولكن استشراف طريق القافلة وتنبيها مبكرا للانحراف. لكن تاريخك النضالي يقول أنها كانت كبوة جواد، وكبوة الكبير كبيرة، دمت بخير.

إلى الأساتذة كمال الهلباوي ومحمد حبيب وثروت الخرباوي:

عقول ونفوس جميلة خسرها الإخوان وكسبها المصريون، دمتم منحازين للوطن. تحية خاصة لمن امتلك شجاعة الخروج من المعبد وفضح أسراره، دمت عقلا وروحا حرة.

إلى المستشار طارق البشري:

عذرا، لا يمكنني أن أنسى، فلا بارك الله فيمن أتيحت له الفرصة ليرسم للملايين طريق النماء، فرسم لهم طريقا أوله عناء وآخره دماء.

إلى الأستاذين حمدي قنديل وسكينة فؤاد:

يا عيني يا عيني .. يا عيني ع الولد

إلى الأستاذ أيمن نور:

ليبرالي تايه يا ولاد الحلال

إلى السادة عصام سلطان وأبو العلا ماضي ومحمد محسوب:

سرعان ما فقد الوسط وسطيته وانحاز لأقصى اليمين، انحياز كنت أراه في العيون وخلف البسمات حتى ظهر في وضح النهار، آه لو عرف الدكتور "المسيري" رحمه الله بالحقيقة المرة!

أوهام الخـــامنئي

١٩ ديسمبر ٢٠١٢م

يحز في قلمي أن يكتب حرفا يهاجم به رمزا من رموز المقاومة ضد الصهيونية والهيمنة الأمريكية كائنا من كان، فهذا يخالف عهد قديم على هذا القلم بأن يكون ذخيرة للمقاومة وسلاحا، ولكنني سألت نفسي: ما هي المقاومة؟ أليست المقاومة وقفة الحق ولو ضعف وقَلّت حيلته، أمام الباطل ولو طغى وتجبر؟ ألم يكن هذا منطق ومبدأ رموز المقاومة في مسيرة البشرية من سيدنا "الحسين"، لجيفارا و"عبد الناصر"؟

وفقا لهذا المنطق يكون السيد "علي خامنئي" مرشد الثورة الإيرانية هو من وضع نفسه هدفا لهذا القلم بكلمته التي قالها في مؤتمر الصحوة الإسلامية بطهران، يؤيد فيها ما وصفه بالصحوة الإسلامية في الأقطار العربية وفي مقدمتها مصر، ويناصر بها الجماعات المتأسلمة المصرية ضد من يقفون في طريقها، وقد سماهم بالفلول. وطالب في كلمته الجماعات الإسلامية بإعلان موقف واضح مناهض للمشروع الأمريكي والصهيوني في المنطقة، مبينا أنه ينتظر منهم أن يكونوا داعمين لمعسكر المقاومة.

إذا فهو ينتظر من هؤلاء الذين يجيشون الجيوش ضد المتظاهرين العزل ويقتلون "الحسيني أبو ضيف" و"جابر جيكا" أن يكونوا عونا على كوهين وشلومو!

أول سؤال يفرض نفسه هنا: لو كنت مقتنعا يا سيد بأن الإخوان فصيل مقاوم، فلماذا تدعم نظام "الأسد" ضد إخوان وجهاديي سوريا؟

ولو كان إخوان سوريا فصيل يمكن أن يتبنى فكر المقاومة، يكون من المنطقي أن حلفاءهم في ١٤ آذار بلبنان مقاومون أحرار بدورهم، فلماذا لا تحول دعمك نحو جبهة ١٤ آذار بدلا من حزب الله؟ وبالمرة تزور خادم الحرمين وتتعشى مع

الشيخة "موزة" في قطر لتدعم بهم المقاومة، فهم حلفاء إخوان سوريا وإخوان مصر الداعمين، وأصدقائهم الصدوقين؟ يا سيد أنت بهذا تناقض نفسك وتبصم بالعشرة على ادعاءات خصومك وخصوم وطنك.

لو كان معيارك لمعرفة العدو من الحبيب والخصم من الحليف هو معيار المقاومة، ألا تعلم أن إخوانك الأعزاء كان خطباؤهم على المنابر أيام العدوان على لبنان في حرب تموز ٢٠٠٦ يلعنون حزب الله ويلعنوكم لأنكم شيعة ويحرمون على الناس مجرد الدعاء لكم؟ بينما كنا نحن (من دعوهم بالفلول) من اليساريين والقوميين والناصريين نرفع صورة السيد "حسن نصر الله" بجوار صورة "عبد الناصر" في البيوت والتظاهرات، ونكتب ونتكلم مدافعين عن كل مقاوم يحمل السلاح ضد الصهيونية أيا كان دينه ومذهبه؟ الطريف أنني سجلت ذات يوم بصوتي قصيدة لنضال المقاومة اللبنانية، وبعدها مرثية كتبتها للشهيد "عماد مغنية"، فكان الإخوان ومن لف لفهم يدخلون على اليوتيوب يسجلون السباب واللعان لي وللمقاومين حتى أغلقت التعليقات على اليوتيوب للخلاص من سفالتهم. فأي الفريقين أهدى أيها الولي الفقيه؟

وتطالبهم بموقف واضح من الأمريكان والصهاينة؟ أوضح من هذا؟ أتريد أوضح من تصريحات "العريان" التي نشرتها الواشنطن بوست خلال "عمرته" في واشنطن؟ أم تريد أوضح من عبارات الصداقة الحميمة في خطابات مرسي لقادة الكيان الصهيوني الغاصب؟ لو كانت مخابرات الحرس الثوري لم تقدم لك تقريرا عن لقاء الإخوان بالأمريكان في مصيف أنطاليا بتركيا بعد الثورة المصرية فالأفضل لك وللمقاومة أن تقيل قيادة تلك المخابرات. بعد كل هذا تنتظر منهم موقفا ضد أمريكا والصهاينة؟ انتظر ما شئت، كمن ينتظر السمن من لبن النملة.

لا أجد تبريرا ولا تفسيرا لكلمتك إلا أن أنصار دولة الكهنوت لبعضهم البعض كالبنيان المرصوص، حتى مع اختلاف المذاهب والمآرب. فولاية الفقيه بنت عم أستاذية العالم وبنت خال مبدأ الحاكمية، وكلها أقوال حق يراد بها باطل كما قال الإمام "علي" ذات يوم، والله بيننا وبينكم هو الحكم العدل، يوم يفصل بيننا فيما كنا فيه مختلفين.

ورقة عرفي مع الرئيس

٩ ديسمبر ٢٠١٢م

خرج الدكتور "سليم العوا" وبجواره بعض الوجوه المعروفة ليعلنوا علينا نتيجة الحوار الذي تم بين أعضاء اللجنة التأسيسية (المطعون في تشكيلها) وبين أنفسهم وليس أي طرف آخر، وإنما بحضور بعض الوجوه المحترمة جماهيريا مثل فضيلة الإمام الأكبر، وهؤلاء بالطبع لم يكونوا أعضاء في لجنة الثمانية التي طبخت الإعلان غير الدستوري الجديد كما أقر "العوا" بنفسه. وقد جاء الإعلان الجديد وتفاصيل المؤتمر الصحفي أكثر تخبطا من الأول، وهنا ردودنا على الدعاوى التي جاءت فيه.

لنحتكم الآن وفورا للشعب والصناديق

يقول "العوا" أن هدف الرئيس هو الاحتكام للجماهير، جميل، ونحن نوافق على الشعب كحكم ومصدر للسلطات، وبما أن خلافنا الأساسي هو على الجمعية التأسيسية للدستور وتركيبتها، فلماذا لا يقرر الرئيس إذا أن نحتكم الآن وفورا للجماهير بانتخاب جمعية تأسيسية جديدة من قبل الشعب؟ بحيث تتقدم كل من القوى الوطنية المختلفة بقائمة من الشخصيات مقترحة من قبلها، وينتخب الشعب القائمة التي يجدها لائقة بكتابة دستور مصر الدائم؟ ثم تتاح مدة شهرين لمراجعة مسودة الدستور وكتابة مسودة معدلة تليق بمصر وتتجنب المصائب التي حولها المسودة الحالية، ثم تتاح فترة ٣٠ يوما لشرح مواد الدستور للناس، ويتم بعد ذلك الاستفتاء الرسمي عليه. هذا هو الاحتكام الحقيقي للشعب، أما حشد الناس للتصويت على مئات المواد التي لم يقرأوها بالجملة، وبكلمة نعم أو لا، فهو استخدام للشعب وليس احتكاما إليه. خاصة لو أخذنا في الاعتبار الترويج لأن "نعم" قرينة الاستقرار والإيمان، وأن "لا" قرينة الفوضى والشيطان.

سيقول البعض أن الرئيس سيتيح للشعب أن ينتخب جمعية تأسيسية جديدة لو رفض الشعب المسودة الحالية للدستور، فنجيبه بسؤال: لماذا هذا الإهدار للوقت والموارد لو كان عدم التوافق حول الدستور ظاهرا في كل ما نعيشه خلال الأيام الماضية من أحداث؟ كذلك فقد جاء في الإعلان أن الشعب سوف ينتخب جمعية تأسيسية جديدة ولم يحدد الكيفية في لفظ مبهم وغائم يوحي بعدم الجدية، بل والثقة في أن الاستفتاء ستكون نتيجته نعم في كل الأحوال. ربما اعتمادا على إشراف "قضاة من أجل الإخوان"، أو اعتمادا على تهديد الشعب بعدم الاستقرار في حالة "لا" كما حدث في مارس ٢٠١١م، وربما اعتمادا على أساليب غير شريفة لإدارة الانتخابات تعلمها الإخوان جيدا في عصر مبارك.

ورقة عرفي مع الرئيس

لطيف جدا ما جاء في الإعلان حول توقيع ورقة بين المعارضة والرئيس حول المواد محل الخلاف، وتعهده بعرضها على مجلس الشعب بعد انتخابه، طبعا عرض مقترح تعديل دستور على مجلس الشعب يمكن لنسبة أقلية تساوي ٢٠% أن تطلبه دون ورقة موقعة، والعرض على المجلس لا يعني القبول، والفكرة كلها إن الرئيس لو مرر مسودة الدستور سيكون لديه ذرائع قانونية لقصف الأقلام الحرة والعصف بالإعلام واعتقال من يشاء من رموز حتى يضمن تغيير نبض الشارع، والحصول على أغلبية من جديد في مجلس الشعب. طيب لو صدقت النوايا، لماذا لا تقدم المعارضة موادا بديلة لخمسة عشر مادة خلافية، ويتم التصويت في استمارة منفصلة على تلك المواد بالاختيار بين بديلين؟ مش ده برضو احتكام للشعب؟ حيلتكم هذه المرة لا تخدع طفلا.

اللطيف أن مستشار الرئيس ربما خجل أن يقول أنه في حالة موافقة المجلس الموقر سوف يتم استفتاء الشعب تاني على التعديلات خلال ٣٠ يوما، يعني لو افترضنا حسن النوايا فهذا تفكير غير عملي وغير منطقي.

ألا يملك الرئيس تأجيل الاستفتاء؟

يقول "العوا" في البيان الذي ألقاه أن الرئيس لا يملك "يا عيني" حق تأجيل الاستفتاء وفقا لمواد الإعلان الدستوري الذي استفتي عليه الشعب في مارس. جميل جدا. هو لا يملك وفقا لمواد نفس إعلان مارس أن يصدر إعلانات دستورية من الأساس، ولا يملك أن يضع قراراته فوق القضاء بمجرد تسميتها بإعلان دستوري. كذلك هو لا يملك وفقا لقانون السلطة القضائية أن يعزل نائبا عاما ويسمي آخر، لكنه فعل. فلماذا التزم بإعلان مارس في عدم تأجيل الاستفتاء ولم يلتزم فيما يخص الإعلانات الدستورية المتوالية، وأمر النائب العام الجديد الذي أصر على تعيينه بنفسه بتذييل مادة إلغاء الإعلان الكارثي بأن ما ترتب عليه من آثار (يعني تسمية النائب العام الجديد) تظل سارية؟ إنه الهوى والغرض فقط لا غير.

من يحترم الديمقراطية ومن ينتهكها؟

قبلنا بالرئيس الإخواني عندما جاءت به الصناديق، وبغض النظر عن الظروف التي أدت لذلك، فهذه هي الديمقراطية، وقبل ذلك قبلنا بأن يكون الإخوان ومن لاذ بهم أغلبية في البرلمان وأن يشكلوا حكومة، أيضا لأن هذه هي الديمقراطية. لم نخرج وقتها للشوارع ولم نتظاهر. أما الدستور فنفس القواعد الديمقراطية التي نصت على ما سبق، تنص على ضرورة كتابته بالتوافق وتمثيل كافة أطياف وفئات الشعب في الجمعية التي تضعه، وعندما طالبنا بهذا صارت الديمقراطية ثقيلة على قلوبهم، وحين ذهبنا نحتكم للقضاء اتهموه بالفساد وأصدروا إعلانا دستوريا يحصن الجمعية المشوهة من الحل. فمن يحترم الديمقراطية يا سادة ومن ينتهكها؟

الحقيقة أن الجماعات الدينية تنظر للديمقراطية نظرتها لدابة تمتطيها، فلو حملتها لما تريد فهي تمجد الديمقراطية، ولو شكلت عائقا يحول دون ما تريد تلجأ للالتفاف على القانون بإعلانات دستورية أشبه بأوراق التوت، ثم لحشد قواعدها لتأييد الالتفاف على القانون، ثم للعنف لمواجهة من يعارض، وتذكروا الفترة التي سبقت إعلان نتيجة الانتخابات الرئاسية والتهديدات بحرق مصر لو نجح منافسهم في الانتخابات. فأي الفريقين يحترم الديمقراطية؟ وأي الفريقين أهدى؟

الاستقرار والاقتصاد والتطهير .. وأشياء أخرى

بدعوى الحفاظ على الاستقرار أيام استفتاء مارس ٢٠١١ أدخلونا في أنفاق مظلمة استغرقت عامين وعصفت بالاستقرار، واليوم بدعوى بناء دولة المؤسسات يحشدون للتصويت على دستور مواده ملغمة وكفيلة بالقضاء على دولة المؤسسات لصالح دولة الحسبة ودولة الفرعون. لقد وثق فيهم الشعب أيام استفتاء مارس والانتخابات البرلمانية المسلوقة بعده فقادوه لحافة الهاوية اليوم، وانحدر ترتيب مصر للقاع في معدلات التنمية. وادعوا أنهم يسعون لتطهير مؤسسات الدولة فأعلنت منظمة الشفافية الدولية أن مصر تراجعت في عهدهم ست درجات في ترتيب الدول من حيث مكافحة الفساد[٦]، بمعنى أن الفساد في عهدهم زاد عما كان عليه في عهد مبارك. لماذا حدث كل هذا؟

لأنهم أبدا لم يكونوا مشغولين حقا لا بالاستقرار ولا بالتنمية ولا بالعدالة الاجتماعية ولا بمكافحة الفساد، ولكن بأسطورة التمكين التي كتبها لهم زعيمهم الروحي في عشرينات القرن الماضي وعفا عليها الزمن، يخططون ويتآمرون لإحكام قبضتهم على المستقبل والانتقام من خصوم الماضي، بينما يفلت الحاضر من أيديهم ومن أيدي الشعب الذي شارف على المجاعة وعلى حافة الحرب الأهلية بسبب سوء طويتهم وسوء إدارتهم.

ويبدو من معالم التطهير في ظنهم محاولة تشويه الرموز الوطنية مثل "البرادعي" و"صباحي" وغيرهما، ممن ثاروا يوم كان الإخوان يتفاوضون، ورفضوا ما كان الإخوان يقبلون، ومحاولة وصفهم بأنهم تحالفوا مع الفلول، فالإخوان آخر من يتحدث عن الفلول، بينما طائرات الرئيس أقلت رجال أعمال الفلول والإخوان فقط في رحلتيه للصين وتركيا، كما أن رئيسي وزراء متتابعين في حكوماته كانا ألصق بنظام مبارك من "عمرو موسى"[٧] الذي يقصدونه بقولهم هذا.

---

[٦] Corruption Perception Index (CPI)

[٧] بينما الكتاب يعد للطبع ذاعت قصة لقاء خيرت الشاطر بعمرو موسى في منزل "أيمن نور"، إذا فهم يختارون من أسموهم بالفلول للتفاوض والتفاهم من بين الرموز المختلفة لجبهة الإنقاذ.

الحق والحل

أما الحق في الأمر فقد بيناه كما نراه ونعتقده، وأما الحل فهو ببساطة أن يعترف الإخوان ومن لاذ بهم بأنهم اليوم لا يشكلون أغلبية في هذا المجتمع، وانتخابات الرئاسة خير دليل، حين صوت نصف الناخبين لصالح "شفيق"، ليس لأنهم فلول ولكن كراهية للإخوان ورفضا لهم ولمخططهم. فلو اعترفوا أن نصف هذا الوطن – بأقل تقدير – يرفضهم ويختلف معهم اختلافا جوهريا سيكون من اليسير بعدها أن نصل لتسويات في كل الأمور، وكما ذكرنا من قبل، سيكون الأساس هو الاحتكام الحقيقي للجماهير. أما لغة الاستعلاء والتخوين والتكفير التي يتبناها مرشدهم ورئيسهم وقياداتهم في خطابهم الإعلامي، والتي تعكس طريقة تفكيرهم، فلن تؤدي بالوطن إلا لحافة الاحتراب الداخلي التي صرنا قاب قوسين منها. وإياهم أن يظنوا أن سيناريو الصراع الدامي داخليا سيكون في صالحهم، فحتى لو سمح الجيش به، فلسوف ينتهي مثل هذا السيناريو الأسود البغيض والكل خاسر، لكن الإخوان سيكونوا أكبر الخاسرين وهم جماعة محظورة من جديد، وقياداتهم خلف القضبان. فلينظروا لأنفسهم وليحذروا من عثرة الرأي، فعثرة الرأي تردي في موقف كهذا كما قال شاعر النيل.

وختاما، زادتني الأيام الأخيرة إيمانا بأن شعب مصر ما بعد ٢٥ يناير صار جديرا بالاحتكام، وعصيا على الاستخدام والنصب على وعيه الجمعي، فتخيروا لأنفسكم.

الفوهرر العام

٢٦ نوفمبر ٢٠١٢م

تحدث مرسي في خطاب الإعلان الدستوري عن السوس الذي ينخر في جسد مصر وعن نيته القضاء عليه، وأنا أتفق معه في أن هناك سوسا قد نخر جسد هذا الوطن حتى بلغ العصب وصار ألمه مبرحا وعلاجه أكثر إيلاما، لكني أختلف معه في تحديد صفة ذلك السوس، فالسوس هو ما ينخر وعي الأمة فيشوش ويضلل برؤيته السياسية القاصرة ورسالته الإعلامية المغلوطة، وإليكم آثار نخره، والأساطير التي روجها في وعينا، نضرب لها أمثلة لأنها أكثر من أن نحصيها:

أولا: عبارة "رئيس مدني منتخب" ليست مرادفة لعبارة "نبي معصوم"، والتاريخ يقول أن الشعوب تنتخب فتصيب وتخطيء، و"هتلر" كان يوم وصوله للسلطة عام ١٩٣٣م مستشارا منتخبا لألمانيا، وكان بطلا يحمل وسام الصليب الحديدي من الدرجة الأولى[٨]. والحرية هي شرف الشعوب التي سددت ضريبة الدم، ومفيش حاجة اسمها تنازل مؤقت عن الشرف لمدة شهر أو شهرين، فلا شرف لشعب يقبل أن يكون مرهنا لحكم فرد يأمر فيطاع ولا يرد له قول لمجرد أنه الرئيس المدني المنتخب، فالانتخاب لرئاسة الجمهورية ليس بيعة على السمع والطاعة، ولكنه تكليف بمهام وظيفية يحددها الدستور، واستمرار الرئيس في منصبه مرهون باحترامه للوصف الوظيفي المحدد الذي انتخب على أساسه، وهذا يختلف تماما عن الصلاحيات التي تمنحها بيعة الإخواني لمرشده العام، وعن صلاحيات لقب "الفوهرر" الذي انتحله هتلر لنفسه بعد عام واحد من انتخابه، وبالمصادفة "فوهرر" تعني المرشد والدليل. فالرئاسة سلطة يحكمها القانون، أما المرشد والفوهرر فسلطات فوق القانون.

---

[٨] لم يكن عسكريا بالمناسبة ولكنه كان جنديا متطوعا في الحرب العالمية الأولى

ثانيا: الانصياع لفكرة الحاكم بأمره، وللغة الترويع والتهديد التي جاءت في خطاب الرئيس في عبارات تشبه "شايفك وعارفك يا بتاع تالتة أول" ليست طريقا للبناء كما يدعي "هشام قنديل"، لكنها طريق الخراب والفناء، هكذا قال الله في محكم آياته "فاستخف قومه فأطاعوه، إنهم كانوا قوماً فاسقين، فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين، فجعلناهم سلفاً ومثلا للآخرين". فلا يحاولن أحد أن يهول علينا بحدوتة الخروج على الحاكم من جديد. لم نخف من تهويلكم أيام المخلوع ولن نخاف اليوم.

ثالثا: كل نظام حكم يستند لقاعدة من ميليشيا شبه عسكرية تدافع عن قراراته في الحق والباطل، وتضرب معارضيه وتغتالهم وتخرب ممتلكاتهم، على طريقة "عتريس كبير الدهاشنة" وعصابته، هو نظام محكوم عليه بالسقوط في بضع سنين، لأنه يفقد نبض الشارع الحقيقي الذي يوجهه للصواب والخطأ، ولسوف يأتي يوم يتغلب فيه الغضب والضيق في صدور الناس على الخوف فيطيحون به.

رابعا: أسطورة أن من تعرض للظلم لا يظلم غير صحيحة، فالناس معادن، منهم من يتعرض للقمع والظلم فيرق قلبه وتسمو نفسه كما كان الزعيم "نيلسون مانديلا"، ومنهم من يتعرض للظلم فيصبح صدره مشحونا بالغل والرغبة في الانتقام، فيغرق في الماضي وتصفيه الحسابات ويعجز عن تقديم أي مشروع حضاري أو نهضوي حقيقي، وهذا حال الإخوان اليوم. لذلك تراهم ونحن في لحظة من تاريخنا يصدق فيها قول شاعر النيل "في موقف تعثر الآراء فيه .. وعثرة الرأي تردي" يصرون على أكثر الآراء تعثرا وتخبطا، بينما طريق الضرورات التي يحتاجها المجتمع واضح لا لبس فيه.

خامسا: كتبت في كتابي "وجع الدماغ" الصادر في ٢٠٠٨م أن نظام "مبارك" والإخوان كل منهما ضرورة حيوية للآخر، لأن الخوف من الآخر يعطي لكل منهما مبررا لوجوده واستمراره، ولهذا يصر الإخوان حتى اليوم على تخويفنا من فلول "مبارك" الذين يدعون أنهم مهيمنون على البلد ومقدراتها، والحقيقة أن نظام "مبارك" كان هيئة منتفعين ولم يكن جبهة أيديولوجية، وكان آخر آمالهم هو ترشيح "شفيق" للرئاسة لاستعادة ما خسروه، وانقضى خطرهم عندما يأسوا من

استعادة مميزاتهم من خلال النظام القديم وصاروا اليوم منشغلين بمد الجسور مع السلطة الجديدة، فبعبع الفلول الذي يخوفنا به الرئيس وهم كبير، وطريدته التي يسعى خلفها ليست فلول نظام "مبارك" ولكن فلول الثورة والثوار الذين يراهم - هو وفصيله - الخطر الوحيد على دولتهم المأمولة.

وأخيرا: يقول قائلهم: لماذا قبلتم إعلان دستوري من المجلس العسكري ولا تقبلونه من الرئيس، وهو مشهد يذكرني بدوره بعقدة عتريس، وشخصية "رشدي" الذي ركبه الجنون لعدم خوف الناس منه كما يخافون من "عتريس" وصار يجري في القرية يقول "انتوا مش خايفين مني ليه؟ والنبي أنا عتريس .. والنبي أنا بلوة سودة .. والنبي أنا ستين عتريس ف بعض" والحقيقة أننا لم نخضع لعتريس ليطالبوننا اليوم بالخضوع لغيره.

من يروجون لتلك الضلالات ويلبسون الحق بالباطل، ويصلون بعثرة الرأي لوضع الوطن على حافة الاحتراب الداخلي يا سيادة الرئيس هم سوس هذا الوطن، وحقيقي أنك تعرفهم كما تعرف ظاهر يدك لأنهم قومك وعشيرتك كما تدعوهم، فاقض على خطرهم لو أردت. ولا أحسبك تقدر أو تريد، والله المستعان من قبل ومن بعد أيها الإخوان على ما تصفون.

الرئيس ومبادرة الظلام

٣ أغسطس ٢٠١٢م

يدعي الموقع الرسمي للإخوان المسلمين أن مبادرة الرئيس التي طرحها طالبا من كل أسرة أن تفصل الكهرباء لمدة ساعتين يوميا عن المترل قد لاقت ترحيبا شعبيا واسعا، في الوقت الذي يجد من يتابع التعليقات أسفل الخبر أن تعليقات الإخوان لم تستطع التشويش على طوفان التعليقات الساخطة والساخرة من المبادرة. كعادقم الإخوان يتوافقون مع أنفسهم ويطرحون المبادرات على أنفسهم ويرحبون بها بأنفسهم، في حالة من "الاكتفاء الذاتي الإخواني" في الشئون العامة للوطن والمواطن.

والحقيقة أن مبادرة الرئيس لإظلام مصر لمدة ساعتين يوميا تنم عن خلل في المنطق من عدة زوايا، أولها التقصير في دراسة أسباب ظاهرة انقطاع الكهرباء: هل المشكلة أننا لم نطور مواردنا الكهربائية تطويرا كبيرا منذ الستينات (اللي مش عاجباه)؟ أم أن استهلاكنا كمصريين مبالغ فيه فوق العادة؟

قد يسارع العوام للقول بأن استهلاكنا كبير، ولكن الحقيقة أن لدينا إهدارا من بعض قطاعات الشعب وبالمقابل لدينا حرمان كامل لدى البعض الآخر. وحتى نعرف أين نقف في نقطة استهلاك الكهرباء بين شعوب العالم ونتعامل مع الأمر بأسلوب علمي، علينا أن نقارن نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء في مصر بغيرها من دول العالم، ففي مصر ووفقا لأرقام وزارة الكهرباء نصيب الفرد ١٩٠٠ كيلو وات ساعة، أما المصادر العالمية فتقول أنه أقل من ١٣٠٠ كيلو وات ساعة. لا بأس، سنفترض أن أرقام وزارة الكهرباء المصرية هي الصحيحة. ونتابع المقارنة:

- في قطر فنصيب الفرد ١٦٠٠٠ ك.و.س
- في الكويت ١٥٠٠٠ ك.و.س

– في الولايات المتحدة ١٢٣٠٠ ك.و.س

– دول أوروبا تتراوح معظمها بين ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ ك.و.س

– في السعودية ٦٠٠٠ ك.و.س

– في لبنان الشهيرة بقطع الكهرباء وغير النفطية نصيب الفرد ٢٣٠٠ ك.و.س

إذن فالمصريون ليسوا شعبا مستهلكا للكهرباء بكثافة كما تدعي مبادرة الرئيس. المشكلة هي عدم تطوير الموارد والحياة الطفيلية على إنجازات الماضي. نعم لدينا بعض الإهدار من جانب بعض الطبقات وهذا يحتاج لخطة توعية طويلة الأمد للمستهلك، والتوعية ليست قطعا بفصل التيار ساعتين يوميا ولكن بوقف السلوكيات المهدرة للطاقة، وتواكب تلك التوعية تطويرا لموارد الدولة من الطاقة الكهربائية لو كانت هناك خطة حقا لنهضة، لأن النهضة تعني مضاعفة استهلاك الكهرباء لدينا لأربعة أضعاف بحد أدنى.

أما مواجهة المشكلة الحادة التي ظهرت بعد الثورة وتفاقمت قبيل رمضان فتكون بمواجهة أسبابها. فزيادة الاستهلاك بعد الثورة لم تنتج عن طفرة في عدد السكان، ولا طفرة في مستوى دخل الفرد وبالتالي أسلوب حياته، ولا عن تطور المناطق العشوائية لمناطق حضرية، لم يحدث أي من هذا، أو بمعنى أدق لم يجد علينا أي من هذا ولم يختلف عما كان عليه الحال زمن المخلوع، وإنما جدت علينا الفوضى من عدة وجوه:

– فوضى سرقة التيار ومن ثم الاستخدام غير المرشد له، لأن السارق لن يدفع فاتورة الكهرباء بنهاية الشهر.

– فوضى استخدام التيار المنزلي في منشآت صناعية ومزارع وغيرها ليتمتع نشاط يستهدف الربح بأسعار الكهرباء المنزلية.

- تضاعف فوضى الاحتفال بالزينة الكهربائية المستوردة من الصين، والتي انخفضت أسعارها لأقل من الخمس ومن ثم صارت كل عربة فول تضع زينة كهربائية.

وعلى ذلك، فمواجهة الأزمة الحادة تكون بمواجهة هذه الفوضى، بالضرب على يد سارقي التيار وبحظر استخدام الكهرباء لأغراض الزينة والاحتفال لمدة عامين حتى يتم رفع الإمكانات الحالية لتوليد وتوزيع الكهرباء في مصر.

ويبقى بعد ذلك أمران، أولهما ادعاء بعض الإخوان أن مبادرة الرئيس مجرد شائعة، بينما موقعهم الرسمي يقول غير ذلك، فعليهم أن يفهموا أن أسلوب "قول وانكر" لن يجديهم في السلطة كما كان يجديهم في المعارضة، والأمر الثاني أن موضوع مد غزة بالكهرباء أو السولار الذي تعاني مصر من نقصه لو صح سيكون بداية لأزمة غير مطلوبة وغير مبررة بين الشعبين وسينقلب وبالا على الشعب الفلسطيني. وهو أمر لا نريده ولا نرغبه قطعا.

القاضي والسلطان
بين الأحرار والإخوان[9]
١٧ يوليو ٢٠١٢م

الخصومة بين القاضي والسلطان خصومة طبيعية يفرضها موقع كل منهما، فالقانون قيد والسلطان يكره القيود، والقاضي هو أمل المحكوم وليس أمل الحاكم. لهذا فالشعوب الناهضة تنتصر للقاضي في أي خلاف مع السلطان بسبب تقييد سلطاته، والشعوب الفاقدة لمقومات النهضة تطبل للسلطان وتمجده حين يختلف مع القاضي، حيث تقود فئات مغرضة جموعا جاهلة نحو حتفها باستباحة مقدسات القانون.

هكذا أرى المشهد الذي يجري على الساحة المصرية في الأيام الأخيرة. فبرغم خلفيتي القومية الناصرية أنتقد موقف الزعيم "جمال عبد الناصر" من الفقيه الدستوري الدكتور "عبد الرزاق السنهوري" وبعض مستشاري مجلس الدولة، وأراه واحدا من أكبر أخطاء العهد الناصري. "السنهوري" كان منحازا للخط الاشتراكي الأساسي للثورة على خلاف بعض قضاة العهد الملكي المنتمين للطبقة الإقطاعية، وحتى لو لم يكن كذلك، فاحترام قدسية القضاء واجب وطني مقدم على سرعة الإنجاز وحرية الحركة للسلطة التنفيذية. ولهذا فتعريضي بمواقف الإخوان اليوم ليس مرده لاختلافي الفكري الكلي والدائم معهم، ولكن لتعرضهم لما أراه من مقدسات الوطن.

الإخوان المسلمون الذين سكوا مصطلح "مذبحة القضاء" لوصف ما جرى في ذاك الخلاف القديم، وظلوا يولولون على تلك المذبحة لنصف قرن من الزمان،

---

[9] كتب هذا المقال قبل التحرش المباشر بالقضاء في أبريل ٢٠١٣م من قبل الإخوان وأذنابهم

أراهم اليوم يستعيرون الاسم الذي استخدمه الضباط الأحرار قديما، فيتحدثون ويكتبون عن "تطهير القضاء"، ويصدر الرئيس المنتمي إليهم قرارا يحاول به نقض أعلى سلطة قضائية في البلاد وهي المحكمة الدستورية، ويتظاهرون في قاعات المحاكم هاتفين ومعرضين باسم القاضي الجالس على المنصة. فقط لأن موقعهم تغير من موقع المستجير بالقضاء لموقع صاحب السلطة الذي يقيده القضاء. كانت أقصى أمانيهم في عصر "مبارك" أن يحاكموا أمام القضاء المدني واليوم جاءوا يتهمون القضاء المدني بالفساد والتزوير. فهم كما عهدناهم جماعة لا مبدأ لها سوى المصلحة، فأينما كانت المصلحة فثم وجه الله، هذا شعارهم الحقيقي والوحيد. لهذا نرد اليوم على بعض عباراتهم التي يبثونها بآذان الناس بدافع الهوى والغرض وليس لوجه الله ولا الوطن.

يقولون: "المؤسسة القضائية فاسدة" .. مستغلين بهذا القول قناعة عامة لدى الشعب حول فساد الدولة بأكملها في عصر "مبارك"، وهي قناعة صحيحة لكنها ناقصة، فالفساد بعصر "مبارك" كان فساد مجتمع لا فساد دولة فحسب. طال الفساد عمق المجتمع المصري ولكن بدرجات متفاوتة، وبقيت مؤسسة القضاء أفضل حالا من غيرها بحكم طبيعة النص القانوني المقيدة للغرض لحد بعيد، لهذا لم يخل عصر "مبارك" من أحكام قضائية مشرقة ومشرفة. بينما كانت الأحزاب والجماعات السياسية هي الأوفر نصيبا من الفساد في ذلك العصر، وهو ما أدى لتعثر خطوات ثورتنا عبر عام ونصف حتى اليوم.

ويقولون: "هؤلاء القضاة فلول عينهم نظام مبارك" .. وهي تهمة سخيفة لأنها تنطبق على رئيس الجمهورية الحالي في وظيفته السابقة كرئيس لقسم المواد بكلية الهندسة جامعة الزقازيق. فالمعروف أن الدرجات العلمية في الجامعات وصولا للأستاذية تتم بالبحث والدراسة، أما رئاسة القسم ووكالة الكلية وعمادتها ورئاسة الجامعة فكان المتعارف عليه أنها للمرضي عنهم. فهل من المعقول أن نصفي هياكل الجامعات بتهمة الفساد لأنها من بقايا النظام؟

ويقولون: "المحكمة الدستورية متورطة بالتزوير" .. ولو قبلنا فريتهم تلك لكانت وبالا عليهم، فهي نفس الهيئة القضائية التي أشرفت على الانتخابات البرلمانية التي قالوا عنها أنها الأنزه في تاريخ مصر[10] لأنها أتت بهم، والانتخابات الرئاسية التي أتت برئيس منهم، فقلد الرئيس قضاتها الأنواط وتقدم لهم شاكرا مقدرا. وقد احترمنا النتيجة واعترفنا بها احتراما لمؤسسة القضاء وحتى لا يفقد البلد مرجعيته الفاصلة بين السلطات، فلو اتهموها هم بالتزوير اليوم في حكم قضائي لكان لخصومهم الحق في سحب التهمة على نتائج الانتخابات ذاتها.

وبعد، فاللعبة التي يلعبها الإخوان اليوم بالغة الخطورة، القيادات الأعلى تصرح باحترام القضاء والقيادات الوسيطة والقواعد تشنع على القضاء وتزدري أحكامه. وليس الأمر خلافا على برلمان أو لجنة تأسيسية للدستور ولكنه أكبر خطرا، فتفكيك الدولة المصرية لإقامة دولة إخوانية تكون نقطة انطلاق لإقامة وهمهم حول الخلافة مستحيل لو بقيت مؤسسة القضاء مستقلة عنهم ومصرية الانتماء والولاء. لهذا عمدوا لتكوين قضاء بديل ممثلا في تلك المجموعة التي أسميها "قضاة من أجل الإخوان"، مجموعة منتمية لهم وليس للوطن، لفكرهم وليس للفكر القانوني والدستوري، تدافع عن قراراتهم "عمياني" وتنظّر لها. لهذا أقول وأكرر، لو نجح الإخوان في مخطط هدم القضاء فقد تم لهم تفكيك الدولة المصرية وإعادة صياغتها إخوانيا.

الوعي هو الحل.

---

[10] تصريحات عصام العريان المسجلة بالصوت والصورة في ذلك الوقت.

يانصيب جولدبرج

١١ يوليو ٢٠١٢م

نكتة يرويها الكاتب الأمريكي "توماس فريدمان" عن يهودي عجوز اسمه "جولدبرج" اعتاد الذهاب للمعبد كل سبت ليدعو الله مخلصا أن يربح جائزة اليانصيب الكبرى، كل سبت على هذه الحال لسنوات طوال، وذات يوم كان "جولدبرج" يدعو الله قائلا "يا إلهي، أنا عبدك المخلص وقد دعوتك لعشرين سنة فلماذا لم أكسب اليانصيب؟" وهنا يظهر له الملاك ليقول "لأنك لم تشتر ولو مرة واحدة ورقة يانصيب".

تذكرني تلك النكتة بدعاء يتردد من حولي كل يوم بعد الثورة "ربنا يستر على مصر"، نطلب من الله الستر والسلامة رغم أننا في كل موقف اختيار لم نختر طريق السلامة. تماما كجولدبرج الذي اكتفى بالدعاء ولم يشتر ورقة يانصيب طوال عمره. في كل موقف منذ الثورة كنا كمن يريد السفر للإسكندرية فيركب سيارته ويقودها على طريق أسوان، لأنه لا ينظر لعلامات الطريق ويكتفي بأن يطلب من الله الوصول بالسلامة. علامات الطريق هم النخب الذين اكتفينا بلعنهم في كل مرحلة قبل أن ندعو الله أن يسلم مصر.

قبلنا لجنة "طارق البشري" إخوانية الهوى والتي صاغت مستقبل مصر على مقاس الجماعة، رغم تحذير المثقفين من أولوية السلطة في العقل الإخواني. ثم سمحنا للمخادعين أن يحولوا الاستفتاء على التعديلات لمعركة حول المادة الثانية من الدستور التي لا يرفضها أي تيار ولا كانت أصلا محل نقاش، ثم صوتنا بنعم التي وضعت العربة أمام الحصان طلبا لوهم الاستقرار، ولعنّا النخب التي كانت برمتها ترفض التعديلات .. وربنا يستر على مصر.

وفي قانون الانتخابات البرلمانية علت أصوات قانونية محترمة بأنه مخل بمبدأ تكافؤ الفرص وغير دستوري، وسيؤدي لحل البرلمان، لكن نهم السلطة لدى الأحزاب شوش عليها واستمر مسلسل التهكم على النخب فكان ما كان .. وربنا يستر على مصر.

وفي انتخابات برلمان الثورة تركنا القوائم والأسماء الممثلة لطليعة الثورة وصوتنا للإخوان والسلفيين فأنجبت الثورة برلمانا لا علاقة لأولوياته بأولويات الوطن والثورة. برلمان كان يصدر قانون العفو الشامل عن الإرهابيين من مرتكبي مذابح التسعينات بينما الشعب يحلم بالأمن والاستقرار، وترك قانون العزل السياسي لِلّحظة الأخيرة حين ظهر بعبع "عمر سليمان" .. وربنا يستر على مصر.

قبيل الانتخابات الرئاسية انشغلنا بفزورة الحاجة "أم حازم" الأمريكية، وحين فرغنا منها لم يكن لدينا وقت لندقق الاختيار فاختار معظمنا مرشحه على طريقة الروليت بتخمين من الرابح، فصوت اليساري للإسلامي خوفا من تفتيت الأصوات، وانتخب الثوري الفلولي خوفا من هيمنة الإخوان، ولو اخترنا مرشحا يوافق برنامجه احتياجات مصر الراهنة لما تفتت أصواتنا ولما قدمنا الفلولي والإخواني على غيرهما. وحين وجدنا أنفسنا بين خيارين كليهما مر في الإعادة بعدما خذلنا مرشحي الثورة، بدأنا في لوم مرشحي الثورة "صباحي" و"أبو الفتوح" لأن أحدهما لم يتنازل للآخر، ناسين أن مشروعيهما مختلفان تمام الاختلاف، لنصل من جديد للقول المأثور .. ملعون أبو النخب وربنا يستر على مصر.

وحين اخترنا رمضاء الجماعة هروبا من نار الفلول وجاء "مرسي" رئيسا، مارسنا وهما جماعيا مفاده أن الله أرسل إلينا منقذا من السماء لأننا غرقى ونتعلق بقشة. وحين قصمت القشة ظهر البعير وأصدر "مرسي" أولى قراراته التي تسبب تصادما مع القضاء، نسينا نقدنا لمبدأ "سيد قراره" أيام مبارك وحديثنا عن استقلال القضاء، فلعنا أبو النخب التي انتقدت القرار من حيث المبدأ وصار "البرادعي"

و"حمدين" فجأة من الفلول، واستمعنا لمعزوفة أوراق التوت التي يعزفها قانونيو الإخوان كعادتهم دون أن نتعلم من دروس الماضي .. وربنا يستر على مصر.

كنا طوال الوقت نلعن النخب وندعو الله أن يلطف بمصر ونتساءل من الذي يلعب بنا؟ من يقودنا كل مرة لأسوان ونحن نقصد الإسكندرية؟ المجلس العسكري أم الإخوان أم أمريكا أم الفلول؟ والحقيقة أن كل هؤلاء كانوا يبدلون ويشوشون علامات الطريق لخدمة مصالحهم وهذا طبيعي. لكن صاحب المصلحة الأصلي الذي يقود السيارة وهو الشعب كان عليه دوما أن يحترم علامات طريق أخرى، وهي أصوات يعرفها عالية وشجاعة وصادقة منذ عهد "مبارك"، لكنه لعنها، واكتفى بالدعاء وطمأنة نفسه بأن الله يحفظ مصر، وهو وهم آخر صدقناه كأننا اتخذنا على الله عهدا فلن يخلف الله عهده. فلا عزاء لنا .. كما لا عزاء لجولدبرج. والله لن يحفظ مصر إلا لو حفظها أبناؤها بوعي ورشاد.

الوعي هو الحل.

شوربة الفاس

٢٩ يونيو ٢٠١٢م[١١]

يقول "ابن عروس" في أحد مربعاته:

مسكين مين يطبخ الفاس

ويريد مرق من حديدُه

أتذكر تلك المربعة وأنا أتابع بعض العبارات المحملة بالأمل في الرئيس الإخواني ومشروع نهضته[١٢]، وأخرى تبرر له مواطن القصور في خطابه بتفانٍ شديد، وثالثة تحاول أن تجد في بعض تصرفاته البسيطة بشارات وعلامات موهومة، ذكرتني بوجبة الفول التي تناولها رئيس الوزراء السابق "عصام شرف" مع أسرته ذات جمعة في أحد المحال فجعلها البعض دلالة على قدرته على بناء مصر الحديثة، قبل أن يخرج "شرف" من الوزارة بهتاف الميدان الذي أتى به بعد فشله الكبير. فمثلها جاءت كلمات دراويش الرئيس الجديد في معظمها تروج لبساطته وشعوره المنتظر بالفقراء والمهمشين، وهو ما أختلف معه تماما.

الوضع الاقتصادي الذي يعيش فيه قرابة نصف السكان تحت خط الفقر لن يجدي معه مشروع يميني كمشروع النهضة، ولن تجدي معه طبعا المسكنات الانتخابية الإخوانية ممثلة في توزيع اللحوم وياميش رمضان. الفقراء في مصر وهم نصف السكان يحتاجون إلى برنامج ثوري لإعادة بناء الاقتصاد الوطني، وهو ما لن يفعله "مرسي" لعدة أسباب، وأهمها:

---

[١١] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٥ يوليو ٢٠١٢م
[١٢] كان هذا في يونيو ٢٠١٢م قبل أن تتضح الرؤية للجميع

- برنامج النهضة يحتوي على وعود بمكاسب اجتماعية براقة، لكن مداها الزمني ممتد لأكثر من فترتين رئاسيتين، وبالتالي لن يكون "مرسي" مطالبا بإنجازها حتى لو أتم فترته الأولى وانتخب لفترة جديدة، يعني بالبلدي: موت يا حمار.

- الدعم المالي والسياسي والإعلامي لحملة "مرسي" مصدره جماعة الإخوان المسلمين التي تمثل تيار الرأسمالية الدينية في مصر (اليمين الديني)، وهذا الدعم له استحقاقات ستدفع "الرئيس المدني المنتخب" لحماية مصالح إخوانه من رجال الأعمال وفي مقدمتهم "الشاطر" و"مالك" وغيرهما، وهو ما يعني أن تحالف السلطة ورأسالمال مستمر بعد ثنائية "جمال- عز" في ثنائية "مرسي- شاطر". لا شيء في السياسة مجاني وبدون مقابل. وأخبار نية الشاطر الاستحواذ على ٧٠% من سوق الأغذية سواء بمستوى تجارة الجملة أو منافذ البيع لو صدقت ستكون أول البلاء.

- الدعم الأمريكي لمرشح الإخوان له استحقاقات بدوره، أهمها الحفاظ على عملية السلام مع الكيان الصهيوني، ثم الحفاظ على منظومة الاقتصاد الرأسمالي بنمطه الأمريكي في مصر، والضغط الأمريكي الداعم للإخوان لم يكن سريا هذه المرة بل معلنا على صفحات الصحف الأجنبية والعربية، وهو موقف لم نعجب له كما عجب من يجهلون العلاقات الإخوانية - الأمريكية الممتدة منذ الستينات، وهو الملف الذي يتولاه حاليا "خيرت الشاطر" وأذاع خبره مؤخرا القيادي الإخواني المنشق عن الجماعة "ثروت الخرباوي" في عدة تصريحات.

وبعد، فليس مقالي دعوة لليأس والاستسلام، لكنه دعوة لعدم الاغترار بالدعاية الإخوانية الممتدة، فاليوم وقد انتهينا نسبيا من خطر فلول النظام السابق بسقوط "شفيق"، يبقى على كافة القوى الوطنية أن تتحلى بأعلى درجات اليقظة للقيام بواجبها في الرقابة على مؤسسة الرئاسة وغيرها دون مزايدات عاطفية. فأداء "مرسي" لفريضة صلاة الفجر ينفعه بين يدي ربه لكنه لن يشبع جائعا ولن يكسو عاريا، وليس كل من صلى الفجر من الخلفاء الراشدين. أفيقوا يرحمكم الله.

الوعي هو الحل.

جميلة والوحشين

١٧ يونيو ٢٠١٢م

العفو والتسامح من شيم النفوس الجميلة التي أكرمها الله بالقدرة على السمو، أما الكبر والعنجهية فمن صفات النفوس الوضيعة التي استلهمت من الشيطان صفاته التي خرج بها عن أمر ربه.

العفو والتسامح تجسدا فيما كتبته المناضلة المصرية "جميلة إسماعيل" على تويتر بعد وفاة ولي العهد السعودي "نايف بن عبد العزيز" قائلة "رغم أن الأمير نايف ظلمني وسجنني ٢١ شهرًا دون ذنب ومنعني من السفر عشر سنوات، أشهد الله وأشهدكم بأنني سامحته والمسامح كريم رحمه الله"، وهو عفو عند مقدرة، لأن العبد اليوم بين يدي ربه، يُسأل عن حقوق العباد وعما اقترفت يداه وهو وزير لداخلية العربية السعودية، وهو أحوج ما يكون لعفو كل مظلوم ذاق الحبس والتنكيل على يديه وبأمر منه. هذا هو منطق عباد الله.

أما عبيد سادقم فكان لهم منطق آخر، تجسد فيه الكبر الشيطاني حين انفجروا في وجه الثائرة المصرية بعبارات الهجوم والسباب التي تليق بهم ولا تليق بها، فهم يرون أميرهم الميت أكبر من أن يحتاج لعفو عباد الله عنه في حقوقهم، فكأنهم يرونه أكبر من حساب الله تعالى الذي لم يعف منه الأنبياء والمرسلين. ألا قبح الله هذا المنطق ولعنة الله على الجاهلين.

بعد الإهانة الموجهة للمصريين في شخص الناشط الحقوقي "أحمد الجيزاوي" الذي لفقوا له تهمة تهريب لا تقنع طفلا، يأت هجوم سعودي شرس على سيدة كريمة سامحت ميتا وترحمت عليه، وأي سيدة؟ ويحهم إنها "جميلة إسماعيل".

يظلمها من يصفها بأنها إعلامية مصرية وحسب، فهي الثائرة الشجاعة التي يعرفها كل من شهد وقائع النضال المصري المعاصر وكان له قلب حفيظ، والمرأة التي زلزل صوتها أحجار "عمر مكرم" ودار القضاء العالي يوم خرس كثير من الرجال وأشباه الرجال، المناضلة التي خاضت معركة الحرية المصرية بكل شرف، وعندما حان وقت التكالب على الثمار ترفعت وعادت لعملها الإعلامي التنويري كما ترفعت أفضل عناصر الثورة المصرية.

فلو كنتم أيها السعوديون تعتزون بأميركم الذي اكتسب مكانته لمجرد حق المولد، فنحن نعتز بجميلتنا التي أحرزت مكانتها بمناقبها ومواقفها. ولو كنتم تتعصبون لأسرتكم الحاكمة الميتة في هوى أمريكا فنحن أكثر تعصبا لثوارنا الميتين في هوى الحرية ومواجهة الهيمنة الأمريكية في المنطقة.

"جميلة إسماعيل" هي رمز المرأة المصرية التي نعتز بها، ومن يوجه نحوها سهما عليه أن يتوقع منا تصعيدا بلا حدود. البادىء بالعدوان أظلم، ولات حين مناص.

آسفين يا أبو جهل

٤ مايو ٢٠١٢م

تفتكروا مفروض نعتذر ونعيد الاعتبار لشخص "أبي الحكم عمرو بن هشام"؟ ما هو مش معقول لمجرد إنه عذب وجلد وسجن المسلمين الأوائل نقوم نقول عليه عدو الله، ونسميه لحد النهاردة في كتب السيرة باسم "أبي جهل"، ونطلعه في الأفلام صوته تخين وحواجبه منكوشة؟ دي مش أخلاقنا خالص، ده احنا طول عمرنا شعب "كيوت وديسنت"، وبعدين التعذيب ده كان أمر متعارف عليه وقتها وكان حق للسادة على العبيد والموالي والمستضعفين، وكل بلد له قوانينه وأعرافه ولازم نحترمها، علشان نحافظ على علاقاتنا الودية مع الكفار.

يا ترى "الكتاتني" والسادة النواب ممكن يقوموا بالواجب ده كمان بالنيابة عنا؟ وماله ما احنا العامة والدهماء بنبوظ بحمقنا وهم الخاصة والعقلاء يصلحوا ورانا، و"أبو جهل" برضو مش شوية في منطقته، والصلح خير، نعتذر ونمسح الشتايم المكتوبة بالجرافيتي على سنم الناقة.

نسينا موضوع "الجيزاوي" وقضيته الملفقة، ونسينا مئات المساجين المصريين في سجون آل سعود. توقعنا أن يخرج اللواء "الفنجري" بصوته الجهوري محذرا كائنا من كان أن يمس شعرة من مواطن مصري، فخرج المجلس العسكري برجاء حار يقطع القلب لملك العربية السعودية ليرضى عنا ويعيد لنا فخامة "المندوب السامي السعودي" اللي مش طايقين بعده أسبوع. توقعنا أن يرسل البرلمان لجنة تقصي حقائق للسعودية لمراقبة التحقيقات في قضية المواطن المصري، ونسينا أن البرلمان يسوده الفصيل السياسي اللي خير النفط مغرقه من ساسه لراسه، فطار "الكتاتني" وبعض نوابه للسعودية يعلنون الندم ويشهدون الله على التوبة، تحت مسمى توطيد

العلاقات. وربما استدعوا من الأدراج فكرة الحاجة "عائشة عبد الهادي" بتصدير الخادمات المصريات للسعودية علشان نطرّي العلاقات، أو فكروا في فكرة جديدة مثل إنشاء مطار جديد بشارع الهرم لخدمة السائح السعودي علشان نزفلط العلاقات.

لما نزلت من بيتي يوم ٢٥ يناير ٢٠١١م والأيام التالية له كان بخاطري أمر واحد، مصر مستقلة الإرادة شامخة الأنف أمام الأمريكي ووكيليه في المنطقة، الصهاينة وآل سعود، فإذا بسفارات الدول الثلاث تتحول بعد الثورة لثلاث دول داخل الدولة تمارس نفوذها واتصالاتها واستخباراتها وتوطد العلاقات بالقوى السياسية والمرشحين الرئاسيين بكل بجاحة وبغير مداراة. وإذا بسحب السفير السعودي له أثر على ساستنا كأثر سفر المندوب السامي البريطاني قبل ثورة يوليو. كنت أحلم بمصر عائدة لمعسكر الممانعة والمقاومة حيث تنتمي، فإذا بهم يريدون حبسها، لا في معسكر المهادنة، ولكن في معسكر المداعبة والملاعبة مع العدو وذيوله. مالكم خيبكم الله أما فيكم رجل رشيد؟ ولا رشيد إيه .. أما فيكم رجل من أصله؟ بيننا وبينكم أيها الإخوان يوم ترونه بعيدا .. ونراه قريبا.

ملوش خير في حازم

٢٣ أبريل ٢٠١٢م[١٣]

فاكرين فيلم العبقري الراحل يوسف شاهين "هي فوضى"؟ والذي تنبأ فيه بثورة شعبية تتجه بغضبها أولا ضد جهاز الشرطة وتجاوزاته؟ كانت بالفيلم عبارة معجزة توجز حالة تضخم الذات واختصار القيمة في فرد عند رجال شرطة "مبارك"، عندما كان أمين الشرطة "حاتم" يقول عن نفسه بكل بجاحة "اللي ملوش خير في حاتم ملوش خير في مصر". عبارة لا ينطبق عليها أكثر من قول الأبنودي "ربنا رازقه بجهل غانيه عن كل العلم". مش كدة؟

أستدعي هذا المشهد وأشباهه وأنا أتابع أنصار المرشح غير المحتمل "حازم صلاح أبو إسماعيل"، بشعارهم الفج الغريب "لازم حازم" وتصريحاتهم حول مهديهم المنتظر[١٤] الذي تآمرت عليه الدنيا كلها، ناهيك عن هفلطة البيعة الشرعية في الميدان وإعلان الجهاد. الإسلاميون بعد الثقة التي منحهم الشعب إياها في الانتخابات البرلمانية أصابتهم لوثة القوة وغطرستها، تلك التي وصفها المثل الشعبي قديما بأن "العافية هبلة". فهم حاليا يمارسون هبل العافية وغرورها بأبشع صوره: تضخم الذات وتسفيه الآخر وإنكار وجوده أصلا .. لازم حازم .. ناقص يقولوا: اللي ملوش خير في حازم ملوش خير في مصر... غريب أمر التشابه حتى بين الاسمين.

تتأكد فكرتي تلك مع عبارة "خيرت الشاطر" التي قالها في حواره مع بي بي سي العربية حول "رصد" الإخوان لمكالمات بين المجلس العسكري واللجنة العليا

---

[١٣] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٣ مايو ٢٠١٢م

[١٤] حدث بالفعل قول بعض مريديه بأن الرجل هو المهدي المنتظر!!!

للانتخابات تحمل معنى التعليمات بإقصاء "الشاطر" و"أبو إسماعيل". في عبارة واحدة غير مبررة وغير مفهومة الدافع ولا السياق يعترف "الشاطر" على نفسه وجماعته بالتصنت والتجسس، ويتهم المجلس العسكري والقضاء معا بالتآمر ضده. هذا الاعتراف التطوعي بالتجسس لا يمكن تبريره إلا بجنون العظمة وغرور القوة وعدم الشعور بسطوة القانون، فهم يشعرون اليوم بأنهم ترزية القانون كما كان الحزب الوطني أمس، فالقانون خاضع لهم وليس العكس. ذكرتني عبارته بعبارة "مبارك" عن المعارضة "خليهم يتسلوا"، والتي اعترف فيها بصورية الإطار الديمقراطي لنظامه، وبغطرسة "صفوت الشريف" في مطلع الثورة المصرية. الشاهد هنا، أن "مبارك" ونظامه وشرطته وصلوا لهذه الحالة من تضخم الذات والغطرسة بعد ثلاثين عاما من ممارسة السلطة المطلقة بلا ضابط ولا كابح، لكن الإخوان والسلفيين وصلوا لها بعد شهور من وصولهم لسلطة محدودة ومنقوصة.

كنت سابقا وقبل وصول الغطرسة لذروتها، أقول أن عمر أغلبية الإخوان والسلفيين في مصر سيكون بحدود العشر سنوات، أما اليوم فأبشرهم: عمر دولتكم – لو قامت – لن يتجاوز أصابع اليد الواحدة. والتاريخ بيننا وبينكم الحكم.

انتخبوا النبي أو المهدي

١٣ أبريل ٢٠١٢م

أيها المصريون ما أسعدكم بين شعوب العالم، فتلك الشعوب تنتخب لرئاستها مجرد رجال عاديين مؤهلين بخبرات بشرية لتحمل المسئولية، أما أنتم فأمامكم فرصة "أسطورية" لتختاروا بين مرشحين أحدهم نبي مرسل، والآخر مهدي آخر الزمان، والثالث هو الفرعون الإله بنفسه.

في حملة "أردوجان"[١٥] الأخيرة للرئاسة كان شعاره بسيطا ومعبرا من كلمتين: الاقتصاد والديمقراطية. الرجل يحترم عقول شعبه ويخاطب الناس بشعار انتخابي يوجز سياسته الداخلية، ولنتذكر هنا أننا نتحدث عن رائد حزب العدالة والتنمية إسلامي الخلفية، والذي اعتادت جماعة الإخوان المصرية أن "تتمحك" فيه بعد الثورة مدعية أنه الإخوان "فرع تركيا"، لتكتسب رصيدا من نجاح التجربة التركية، لكن تيارات الإسلام السياسي المصرية لم تتعلم من "أردوجان" حتى صياغة شعار انتخابي محترم لمرشح رئاسي. وموضوع الشعار قد يبدو بسيطا لكنه يعكس ولا ريب نمط تفكير تلك الجماعات التي تدور في فلكه، ومدى احترامها لعقلية الجماهير المصرية.

ألم يقل أتباع المهندس "خيرت الشاطر" من الإخوان أنه "يوسف العصر .. خرج من السجن ليحكم مصر"، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، أي شطط وانحراف فكري وديني هذا؟ هل وصل بهم استغلال الدين لدرجة تشبيه مرشحهم بنبي من أنبياء الله؟ وهل مفروض أن يطالبه الناخبون بعد ذلك ببرنامج رئاسي

---

[١٥] لست من المتيمين بحب أردوجان ولا من المؤمنين قطعا بأنه منقذ الأمة، فعلاقته بالولايات المتحدة تنفي عنه تلك الصفات، لكن الرجل على الأقل يلعب السياسة بحرفية عالية

واضح الأركان كبرنامج "أرودجان"؟ أم يطالبونه بمعجزة من السماء تثبت أنه "يوسف العصر" وتؤيد نبوته التي زعموها له؟ على العموم يوسفهم هذا لو جاء للسلطة لن يأت بعد سبع سنين عجاف، ولكن بعد أربعين سنة عجفاء كان هو وجماعته ثمرتها المرة.

أما الحازمون السلفيون من أنصار الشيخ "حازم صلاح أبو إسماعيل" فلم يكونوا أقل شططا ولا خرفا، من الشعار الأجوف الرنان غير المنهجي "سنحيا كراما"، إلى وقاحة بعض أنصاره بادعاء أن الرجل هو مهدي آخر الزمان الذي بشرت به الأحاديث النبوية. عجيب أن تكون أسرة المهدي أمريكية الهوى سواء كانت أمريكية الهوية والجنسية أو لم تكن. وشطط هؤلاء لم يقتصر على الشعارات الفارغة ولكنه امتد إلى العربدة في الشوارع وقطع الطريق أثناء محاكمة مهديهم، وترديد شعارات يفهم منها تهديد القضاء وهم يقولون "لو فيها فساد يبقى نعلن الجهاد"، علم الله أن الجهاد والإسلام بريئان من أفعال الخوارج تلك. دع جانبا سائقي الميكروباص الذين يضعون صورة المرشح السلفي، بينما لسانهم يلهج بسب الدين وعيونهم زائغة من أثر المخدرات. وهل الازدواجية جديدة علينا؟

ويبقى الفرعون الذي عاد للساحة مؤخرا، نائب المخلوع السيد "عمر سليمان"، فصادفت عودته هوى عند من افتقدوا سطوة الفرعون الإله في العام الأخير، وأصحاب نظرية أننا من دون شعوب العالم لا ينصلح حالنا بغير البيادة الميري، وصادفت كذلك قبولا عند قطاعات كبيرة ترى فيه أهون الشرين لأنها تأمل في أن يوازن وجوده في مقعد الرئاسة الهيمنة الإخوانية في البرلمان، فيستجيرون من النار بالرمضاء. كأن قدرنا ألا يحكمنا إلا دكتاتور مدني أو دكتاتور ديني. أما الثوار فقد رفعوا بمناسبة ترشح سيادة اللواء شعارا هو الأفضل والأكثر واقعية: "عيش .. بطانية .. حلاوة طحينية". وكم بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا.

الشاطر وإخوان عرقوب

٣ أبريل ٢٠١٢م

كان "عرقوب" اليثربي يملك نخلا كثيرا، وكان يكثر الوعود للناس ولا يفي بها، أتاه أخوه يوما يطلب نصيبه من طرح النخيل، فقال له اذهب وعُدْ عندما يظهر طلع النخل، فلما ظهر الطلع طلب منه الصبر حتى ينمو الطلع ويصير بلحا، فلما صار بلحا طلب منه أن يصبر حتى يصير البلح رطبا، ثم قال له اصبر حتى يصير الرطب تمرا، فلما صار تمرا جمعه عرقوب وأخفاه، مستوليا على نصيب أخيه. فضربت به العرب المثل فقالوا: أكذب من عرقوب، وأخلف من عرقوب، وموعده كمواعيد عرقوب.

واليوم بعدما أتمت جماعة الإخوان المسلمين خلف وعودها للجماهير بترشيحها "خيرت الشاطر" للرئاسة استحقت أن يحل اسمها محل اسم عرقوب. فهم "إخوان عرقوب" في الصفات والخصال.

تعجلوا الانتخابات قبل الدستور، فشوهوا مسار الثورة كي يحرموا الكيانات السياسية الجديدة من وقت تنضج فيه، وخدروا الناس فرفعوا شعار "مشاركة لا مغالبة"، وقالوا اصبروا لتروا الانتخابات البرلمانية، لن نرشح عددا يحقق الأغلبية، ثم نافسوا في كل الدوائر بالتنسيق مع حزب النور السلفي وحققوا أغلبية أكثر من الثلثين زائد واحد، لتحقق لهم تمرير ما يريدون من قوانين تفصيل كتلك التي كنا نعيبها على الحزب الوطني.

وعادوا فقالوا: اصبروا .. لن نرشح أحدا لرئاسة البرلمان ولن نستولي على اللجان النوعية. لكنهم رشحوا واستولوا، والنتيجة برلمان يديره "الكتاتني" كأنه شيخ كتَّاب يعامل تلاميذه بالمقرعة. ثم كرروا أنهم لا يسعون لتشكيل حكومة إخوانية، وروجوا للتعديلات الدستورية التي لا تسند للأغلبية البرلمانية حق تشكيل

الحكومة، وبعد أن تمكنوا من المجلس عادوا ليطلبوا تشكيل حكومة إخوانية (واسم الدلع توافقية)، ضاربين عرض الحائط بإعلان دستوري كانوا هم سدنته وكهنته.

وطبعا وعدوا مرارا وتكرارا بألا يرشحوا إخوانيا لرئاسة الجمهورية ثم رشحوا "خيرت الشاطر" لرئاسة جمهورية الثورة. وأقسم بالله أن هذا التراجع الفج لخليق بأن يكون انتحارا سياسيا عند الجماهير، لو كانت تلك الجماهير تريد أن يحترمها الساسة مستقبلا.

أما في أمر الدستور فحدث ولا حرج، وقعوا وثيقتي الأزهر والتحالف الديمقراطي، ثم عادوا يقولون أنهما غير ملزمتين عند كتابة الدستور. وثيقة شرف غير ملزمة؟ والله إنها ملزمة لكل من لديه شرف. ووعدوا أن يكون الدستور توافقيا ثم أجروا انتخابات خاطفة معيبة للجمعية التأسيسية، فجاءت لا تمثل غيرهم ومن لاذ بهم، وتوقعوا انسحاب الليبراليين واليساريين فقط من اللجنة وظنوا أن أحدا لن يأبه لهؤلاء المثقفين الصارخين في البرية، لكنهم واجهوا انسحاب الأزهر والكنيسة والمحكمة الدستورية من لجنتهم الملاكي. وظهرت لجنة الوساطة الفريدة من نوعها، للوساطة بين أعضاء اللجنة التأسيسية المنسحبين منها وأعضاء نفس اللجنة المستولين عليها. وكان أول ثمار "لجنة اللجنة" اقتراح وثيقة مباديء أولية للدستور لن تكون بدورها ملزمة لأحد حين يوضع دستور خطف مصر الذي عزموا عليه.

لا والله، هذه المرة أيها المارون لا ينبغي أن تمروا، ولجنة الوساطة لا ينبغي أن تخدرنا للمرة العاشرة. ولو حدث ووضعتم دستوركم المعيب، فلن يكون بدوره ملزما لنا، كما لم يكن دستور ١٩٣٠ ملزما للقوى الوطنية حتى سقوطه. وأبشركم: والله ليكونن حكم التاريخ عليكم أبشع مما تتصورون. ستهزمون وتنتصر مصر التعددية والتنوع ولو طال الزمن.

القواعد من الرجال

٢٦ مارس ٢٠١٢م[16]

لن تضار القيمة الروحية والوطنية للبابا "شنودة الثالث" بطريرك الكرازة المرقسية رحمه الله بعدم مشاركة السلفيين في الوقوف دقيقة حدادا على روحه كما جرت العادة في مناسبات مماثلة. فللرجل تاريخ مشرف يعرفه من يعرف محنة هذا الوطن في السبعينات، وقتما تغيرت الدفة نحو السلام مع العدو الصهيوني وحاول الرئيس وقتها أن يفرض توجهه على الجميع فكان البابا ضمن من استبعدوا واضطهدوا من جراء رفضه لهذا التوجه وتمسكه بالثوابت العربية. وقد توفي رحمه الله وهو مازال يمنع المسيحي القبطي من زيارة القدس المحتلة للحج وزيارة المقدسات المسيحية، بينما يرفرف على تلك المقدسات علم صهيون. وبعد ذلك، كانت للبابا المتنيح مواقف من نظام "مبارك" خالفناه فيها ورفضناها شكلا وموضوعا. لكنني أشهد أنه أبدا لم يبتذل نفسه في النفاق والزلفى للحاكم بالصوت والصورة كما فعل بعض أقطاب ورموز التيار الذي يرفض اليوم الحداد الوطني عليه.

روى "البخاري" في صحيحه عن "جابر بن عبد الله" أنه قال: مرت بنا جنازة، فقام لها النبي، فقمنا فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، فقال "إذا رأيتم الجنازة فقوموا". وفي رواية أخرى أنه (ص) قال مستنكرا عجبهم من قيامه لجنازة اليهودي "أليست نفساً". علينا عندما نتدبر الحديث الشريف أن نتذكر أن الرسول قام ليهودي رغم ما كان بينه وبين يهود المدينة من خصومة نتيجة لتكرر خياناتهم ومكرهم بالدين الوليد، لكن أكرم الخلق كان يرى الموت قاطعا للنزاع

---

[16] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٢٩ مارس ٢٠١٢م

ومنهيا للخصومة. وبالمقابل علينا أن نتذكر أن من رفض السلفيون القيام حدادا عليه هو الأب الروحي لإخوة في الوطن لم تفرق رصاصات الأعداء أبدا بين صدورنا وصدورهم، وهو الرجل الذي قال للسادات في الخلاف السابق "لن ندخل القدس إلا مع إخوتنا العرب المسلمين بعد تحريرها". فلماذا لم يقتد السلفيون بالنبي في موقفه الأغر وهم من يدعون أنه صلى الله عليه وسلم قدوقمم؟

الإجابة واضحة لمن طلبها بقلب سليم، لم يقتدوا بالنبي لأن المصطفى كان خلقه القرآن، أما "القواعد من الرجال" فكان خلقهم دوما الشقاق والشنآن. ولأن النبي لم يكن فظا غليظ القلب ينفر منه الناس، بل برحمة من الله لان للبشر جميعا، أما هم فقد تجسدت فيهم الغلظة وقساوة القلوب تسعى على قدمين، حتى صاروا رموزا للتكفير والتنفير. ولأن الرسول الأعظم تجسدت فيه عزة الإسلام وقوته ومنعته، فكانت عزته بطلب الآخرة، وقوته بالصدق، ومنعته بالحق. أما هم فتجسدت فيهم النعرة الطائفية الفارغة من أي قوة أو عزة حقيقية، أشداء علينا رحماء بالمعتدين، ولو كانوا نسوا حوارهم الشهير مع الإذاعة الصهيونية عشية تكوين حزبهم فنحن لم ولن ننسى.

قام الرسول حفظا لحرمة الموت وحق النفس الإنسانية، وقعد القواعد لأنهم أبدا ما قاموا منذ عرفتهم مصر إلا لمصلحة يطلبونها أو لخوف يدفعونه عن أنفسهم. قام الرسول ليضرب لنا مثلا وقدوة حرصا على تجانس المجتمع الإنساني، وقعدوا هم لأن وحدة الوطن وتجانس نسيجه لم تعنهم يوما في قليل أو كثير.

مناخير جنابه .. وآخرون

٦ مارس ٢٠١٢م

تتوالى مفارقات السيرك السياسي والاجتماعي في مصر بعد الصعود البرلماني للإخوان والسلفيين. وأول المفارقات أن الغانيات أثبتن أهن يفهمن تماما طبيعة المجتمع الذي يريد هؤلاء إقامته، فهو لا يختلف في شيء عن مجتمع "مبارك" إلا في الصبغة الدينية الخارجية التي يجب أن تراعى.

تُسأل الراقصة "دينا" عما ستفعل مع صعودهم فتصرح بأها سترقص في الحفلات النسائية. ويتضح لنا فجأة أن الأخت "غادة عبد الرازق" كانت تلتزم التقية في عصر "مبارك" واليوم تكشف عن هواها الإخواني الأصيل[١٧]. غادة طلعت خلية نايمة يا رجالة! أما "سمية الخشاب" فتنسب نجاحها وتوفيقها في العمل الفني لمواظبتها على الصلاة. والحقيقة أن للحاجة "فيفي عبده" سبق قديم قبل الثورة في مضمار الجمع المزعوم بين "العري والتقوى"، ربما كانت مكشوف عنها الحجاب! ثم تأت صورة تكريم القديرة "مروى" في حفل زوجات ضباط الشرطة وصورها بشهادة التقدير والمصحف.

والله في هذا كله أعلم بعباده، الصادق منهم والكذاب، التقي والدعي، وإنما لفت نظري أن السيد "خالد عبد الله" لم تستنفره تلك التصريحات والوقائع ليسخر منها كما سخر من رموز محترمة مثل "البرادعي" و"نوارة نجم"، رموز واجهت بغي النظام السابق وقتما كان هو يمشي مع رفاقه داخل الحائط.

---

[١٧] وفقا لتصريحاها المنشورة قبيل كتابة المقال

ثم تطفو على السطح واقعة الاحتيال التي ارتكبها نائب حزب النور السلفي، فيما يخص جراحة التجميل لأنفه. طبعا سيفسر السلفيون هذا الكلام كعادتهم بأنه تصيد لأخطائهم من أعداء الإسلام والمسلمين (يقصدوننا نحن المعارضون لهم بهذه الأوصاف). ويخرج "نادر بكار" ليقول أن مناخير النائب لا تعبر عن حزبه. لكن الحقيقة أن الواقعة طفت على السطح لما لها من دلالة معبرة عن علل هذا التيار، تلك العلل التي نرفضه ونختصمه بسببها. وهي واقعة قابلة للتكرار ما دامت هذه العلل متأصلة فيهم. لو لم يتبع النائب الفكر الديني لمن يشدد على الناس ويحرم ما أحل الله لما كذب وافتعل حادثا ليخفي عملية جراحية مشروعة، ليست إجهاضا ولا ترقيعا، لكنه ينتمي لمن يحرمون التجميل وجراحاته على النساء فضلا عن الرجال. لو لم يكن لديه نماذجا وقدوة من علماء قومه من الخشب المسندة تبيح الكذب بتوسعها في مفهوم التورية والمعاريض والكذب الحلال لما استحل الكذب بقلب بارد.

ويجب أن نعرف أن خلافا فقهيا كبيرا يقع بين المذاهب الإسلامية وبين الفقهاء حول إباحة الكذب في أحوال معينة، لكن ما يقر به معظم الفقهاء في المذاهب المختلفة لا يعدو وفق فهمنا أربعة وجوه: في الإصلاح بين الناس سواء بين الخصوم أو الأصدقاء أو الأزواج، وفي الحرب، وفي التعامل مع الظالمين والجبابرة لحفظ النفس كحال إبراهيم عليه السلام عند دخوله مصر، وفي الحالات التي يقصد منها التلطف مع الآخر والرفق بمشاعره كما بين الزوج والزوجة في مجال العواطف والرضا، وكطمأنة أم على ولدها الغائب وما شابه هذا. بينما يجمع العلماء على الحرمة القاطعة المانعة للكذب في المعاملات وفي الشئون العامة. وهو المجال الذي تقع فيه كذبة النائب السلفي بلا جدال.

المشكلة أن بعض شيوخ الوهابية والسلفية قد توسعوا في مفهوم التورية والمعاريض، حتى يقسم شيخ منهم على الهواء أنه لا يتقاضى جنيها من القناة عن حلقاته وهو يتقاضى عشرة آلاف دولار عن الحلقة الواحدة، وحين يسأل يقول

بأنه أقسم على الجنيه وليس الدولار[18]. هكذا؟ على هذا ربما قصد "البلكيمي" أن الجراحة في أنفه حادثة لأنها "حدثت"، وهكذا يتحول الكذب حلالا بفضل الفهم المعوج للدين ولرخصة التعريض. لهذا فالحادثة دالة وليست سقطة كما يدعون. وأختلف في هذا مع رأي الدكتور "البرادعي" بهذا الخصوص، فهو يقول – وهو على حق في هذا – أننا جميعا من الليبراليين والقوميين وغيرنا معرضين لتلك السقطات، فنحن فعلا معرضون لهذا وأكثر، لكن الفارق الكبير أننا حين نخطأ نسيء لأنفسنا وحسب لأننا لا نرفع فوق رؤوسنا شعارا ندعي به أننا نمثل دين الله يمشي على قدمين.

---

[18] راجع التصريحات المسجلة للشيخ الرضواني بخصوص هذه الواقعة التي نسبها للشيخ محمد حسان في إحدى الفضائيات.

الشرق الأوسط القبيح

١٨ يناير ٢٠١٢م[١٩]

هل ما يجري الآن في مصر وحولها هو خطة الشرق الأوسط الجديد الذي تحدث عنه القادة الأمريكيون مرارا؟

سؤال يتكرر هذه الأيام كثيرا، ولكي يجيب كل منا عليه ينبغي أولا أن نوحد مفهومنا لمعنى الاصطلاح الأمريكي، ونفهم معا طبيعة الحلم الأمريكي لمنطقتنا. وهنا يجب أن نتفهم مبدأيا أن الاقتصاد يدير السياسة وليس العكس، وأن الساسة أدوات تنفيذية بيد رجال الأعمال. وأن الجانب الأكبر من رأس-المال العالمي يديره عدد محدود من عائلات المال والأعمال معظمها آنجلو-أمريكية وبعضها صهيونية. تشكل هذه العائلات عصب ما يعرف باليمين المتطرف العالمي أو الرأسمالية العالمية وأحد مظاهرها الليبراليون الجدد (Neoliberals) في الولايات المتحدة وبريطانيا. فلماذا يهتم هؤلاء بالشرق الأوسط تحديدا؟ ببساطة لأن الشرق الأوسط هو:

١. مركز الطاقة الحالية والمستقبلية في العالم. الحالية وهي النفط والغاز والمستقبلية وهي أهم مصادر الطاقة البديلة: الطاقة الشمسية. حيث يبلغ نصيب المتر المربع من طاقة الشمس في الكثير من صحارينا أضعاف معظم بقاع الأرض.

٢. مركز النقل البحري للتجارة الدولية، وبرغم الطفرات المتلاحقة في النقل الجوي للبضائع مازال البحر في الحاضر والمستقبل المنظور هو الأجدى اقتصاديا لأكثر من ٩٠% من تجارة العالم.

---

[١٩] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٢٥ مارس ٢٠١٢م

٣. مقر المشروع الاستعماري الأكبر في العالم: إسرائيل. حيث قامت الصهيونية الدولية باحتلال صرة العالم في فلسطين لصالح اليمين الدولي.

٤. موطن واحد من ثلاثة مشاريع مقاومة على مستوى العالم ضد أمريكا، كوريا الشمالية وأمريكا اللاتينية ومحور سوريا – لبنان – إيران

فكيف يتمنى الأمريكيون الشرق الأوسط؟ يتمنونه مخزنا للطاقة يشرفون عليه ويتحكمون فيه، ومعبرا آمنا لتجارتهم الدولية، ومجال تمدد وتوسع وعلاقات استراتيجية لإسرائيل، وشوكة تكسر محور المقاومة وتفتته إلى شظايا وتستنزف طاقته ذاتيا دون أن تضطر أمريكا لأن تدخل مستنقعا ثانيا كالعراق. هذه هي مواصفات شرقهم الأوسط الجديد. فكيف يخططون لتحقيقها على الأرض؟ متابعة الشواهد المتلاحقة سريعا تضع أمامنا عدة آليات سيعتمدون عليها جميعها أو بعضها:

– تفتيت دول المنطقة باستخدام تعدديتها الدينية والمذهبية والعرقية والقبلية. فقد جهزت الآلة الإعلامية والأبواق الموالية لهم الأرض عبر سنوات لتحويل الخلافات الباردة لصراعات عرقية ساخنة بين العرب والأكراد والأمازيغ والفرس والأفارقة، وصراعات دينية بين المسلمين والمسيحيين، وصراعات مذهبية بين السنة والشيعة والعلويين. وما كردستان العراق ودولة جنوب السودان إلا الثمار السريعة لخطة التفتيت، وهي قابلة للاستنساخ بلا حدود لو لم نملك ما يكفي من الحكمة. وبعد التفتيت سيلجأ كل معسكر للأب الأمريكي يطلب الحماية والدعم والسلاح بطبيعة الحال.

– تصوير الصداقة مع الكيان الصهيوني كبوابة عبور لأي فصيل يريد الوصول للسلطة والفوز برضا المعسكر الأمريكي.

– مواجهة محور المقاومة والممانعة الإسلامي في إيران وحماس وحزب الله بمحور صداقة إسلامي بدوره يتكون من مصر وسوريا (بعد أخونتهما) فضلا عن السعودية. وذلك بإحياء الصراع التاريخي بين السنة والشيعة.

هذا هو شرقهم الأوسط الجديد والقبيح الذي يحلمون به، وليس معنى أنهم يعملون لإنفاذه أنه صار أمرا واقعا مفروضا علينا. فكل هذا سوف ينهار لو ملكنا ما يكفي من اليقين. "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" صدق الله العظيم.

والجدير بالذكر أنهم سربوا خريطة مغلوطة ومضللة تعبر عن عكس ما يرجون للشرق الأوسط. حيث لم يتأثر فيها بالتفتيت إلا الكيان الصهيوني والسعودية والعراق. سربوها عمدا لتملأ صفحات الصحف والإنترنت وتضلل الأنظار عن الخطة الحقيقية، بتوجيه الاهتمام نحو تفتيت موهوم في معظمه ما عدا الجانب العراقي. وهي الخريطة التي حققت مرادها بالفعل فحازت اهتمام الكثيرين بيننا.

الوعي هو الحل.

جيش محمد في البرلمان

١٢ يناير ٢٠١٢م

في عام ١٩٧٨م سمح "السادات" بتعدد الأحزاب ليتهم الحركات الطلابية والعمالية الرافضة لسلام الأوهام مع العدو الصهيوني بأنهم "أفنديات أرازل" لا يمثلون الشعب. فكانت التعددية السياسية التي هي من حق الشعب سلاحا استخدم لتجريف وعيه، ولم تسمح لجنة الأحزاب أبدا للمعارضين الحقيقيين بتأسيس أحزاب تمثل الفكر الرافض للتطبيع مع الصهيونية. أيامها أنشد "الشيخ إمام" رحمه الله:

علشان ما يلحق نفـــسه يبيع

أحلامنا يا حلاوة الأحـــزاب

الله الله يا بلدي والكل كلاب

ولليوم مازال قبول الكيان الصهيوني والنفوذ الأمريكي هو بوابة العبور للحياة السياسية في مصر، ومازال المجانين أمثالي من المؤمنين باستقلال القرار الوطني ودور مصر الإقليمي وكامل التراب الفلسطيني يقفون خارجها .. وهكذا سيبقون. مجانين نحن كما كان "ديجول" مجنونا حين رفع بمفرده راية فرنسا الحرة في الحرب العالمية الثانية، وكما كان الزعيم الفيتنامي "هو شي منة" مجنونا حين واجه أمريكا بجنوده القلائل النحاف العراة. نوصف بالجنون من معدومي الحلم ومحدودي الإيمان حتى يضع الله بكمال قدرته الحق في نصابه فتتغير صفتنا تلك وتعرف الشعوب من ضيعها ومن حفظها.

ارجع بذاكرتكِ لأيام الدراسة الجامعية، كم مرة سمعت الطلاب المنتمين لتنظيم الإخوان المسلمين يهاجمون معاهدة السلام مع إسرائيل ويصفونها بمعاهدة الذل والعار؟ كم مرة رأيتهم يرفعون شعار "خيبر خيبر يا يهود .. جيش محمد سوف

يعود"؟ أراهن أنها مرات كثيرة. فما رأيك اليوم والجماعة تصرح بالتزامها بالمعاهدة بعد حصولها على الأغلبية في البرلمان؟ وبأن مجرد تعديل المعاهدة يحتاج لاستفتاء شعبي؟ كأن المعاهدة أصلا جاءت باستفتاء حتى نستفتِ الناس على تعديلها! وكأن السيادة الوطنية وبنود المعاهدة المخلة بها تحتاج لاستفتاء على استعادة السيادة والكرامة ولو بالتعديل، وذلك أضعف الإيمان.

كل هذا لأن الوصول للسلطة كان مشروطا بالعبور من بوابة الرضا الأمريكي وتقديم الضمانات والعهود والمواثيق لصهيون. هكذا فضل من تعهدوا بالحفاظ على المعاهدة قبة البرلمان على قبة الصخرة!

قديما هتفوا بأن جيش محمد (ص) سوف يعود، والحق أنه عائد لا محالة طال الزمن أو قصر، فبشارة الله بعودته في محكم آياته خير من بشارة الإخوان. سيعود جيش الحق فينصر الحق ويبطل الباطل، ويومها يفرح المجانين المطالبون بكامل التراب الفلسطيني ويخزي الله أصحاب المواءمات والمماحكات والمداهنات. جيش الحق عائد لكنه لن يضم من تغنوا به عقودا ثم باعوه بأبخس الأثمان. وإنما سيضم القلة المؤمنة بحقها، والتي تقف اليوم أمام جبروت السلطة بذلك الحق الأعزل. سيعود يوم يكون بيننا من يرفع باب خيبر كما رفعه إمام المتقين "علي" أول مرة بقوة الإيمان لا بأغلبية البرلمان. سيصدق الله وعده بنا وفينا يوم يصبح جيش "محمد" صلوات الله عليه عقيدة تقر في القلوب، لا طنطنة على الألسنة نخدع بها قلوب البسطاء. سيعود فقط يوم نمتلك اليقين. سيعود مؤلفا من أهل اليقين.

برلمان ميحكمش

٢ ديسمبر ٢٠١١م[٢٠]

الآن بعدما ظهرت بشائر غنيمة "غزوة الصناديق" التي حلم بها الإخوان والسلفيون طويلا، لم يصبروا حتى تستقر الغنيمة كاملة في حجورهم بمراحلها الثلاث، وراح مرشد الإخوان يتحدث عن تشكيلهم للحكومة في ائتلاف بينهم. ويقول الفقهاء الدستوريون أن الإعلان الدستوري في مارس حدد من يشكل الحكومة وهو المجلس الأعلى للقوات المسلحة، فيرد الإخوان أن الإعلان ليست له قيمة بعد تشكيل البرلمان. ناسين أن البرلمان انتخب بدعوة من المجلس العسكري وفقا للإعلان الدستوري الذي يقوم الآن مقام الدستور الدائم لحين صدوره، وأن سقوط إعلان مارس يعني سقوط البرلمان والعودة لنقطة الصفر. فمن هو الشيطان الذي أقنع الإخوان والسلفيين أن بوسعهم استخدام الإعلان الدستوري عند اللزوم كحبوب "الصباح التالي" لمنع الحمل؟

نص الإعلان الدستوري في المادة (٥٦) على صلاحيات المجلس العسكري ومنها في البند السابع "تعيين رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم وإعفاؤهم من مناصبهم"، وهي صلاحية تنتقل لرئيس الجمهورية بعد انتخابه وفقا للمادة (٢٥) من نفس الإعلان. إيه مبنعرفش نفك الخط؟ أليس هذا هو الإعلان الذي استمتم في الدفاع عنه وحشدتم الحشود حتى لا تضاف له كلمة ولا تنقص منه كلمة؟

---

[٢٠] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٣١ ديسمبر ٢٠١١م

إذن ما هو دور البرلمان؟

حددت المادة (٣٣) صلاحيات مجلس الشعب بأنه المنوطة به سلطة التشريع، وإقرار السياسة العامة للدولة والخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والموازنة العامة، والرقابة على أعمال الحكومة. فهل معنى هذا أن البرلمان سيكون من حقه سن ما يريد من تشريعات وقوانين بحرية كاملة؟ مش قوي. لأن المجلس العسكري يحتفظ من خلال البند الخامس من المادة (٥٦) بأحد صلاحيات رئيس الجمهورية في دستور ١٩٧١م في سن القوانين والاعتراض عليها. إذن فاعتماد أي قانون من العسكري ضروري لنفاذه، ويحق له الاعتراض عليه فيصبح كأن لم يكن.

فيا معشر "الحرية والعدالة" و"النور": هذه هي القواعد التي طلبتم على أساسها "الانتخابات أولا" واتهمتم من خالفكم بالالتفاف على الشرعية، عندما كنا نريد دستورا يضع دورا محوريا للبرلمان عند انتخابه. هذه هي قواعد اللعبة في المرحلة القادمة. فلو أردتم من الشعب أن يحترم شرعية الصندوق عليكم احترام الإعلان الدستوري الذي وضع الصندوق.

آه .. نسيت أقول لكم .. مبروك.

مستقبل أصحاب الفيل

٤ نوفمبر ٢٠١١م[٢١]

كان ملك اليمن المسيحي أثيوبي الأصل "آبرهة"[٢٢] قد أعلن استقلاله عن الإمبراطورية الأكثومية في الحبشة وانفراده بملك اليمن، ونذر لو نصره الله على جيوش أثيوبيا التي هاجمته لاستعادة اليمن، أن ينشر المسيحية لتحل محل اليهودية في جنوب الجزيرة العربية والوثنية في وسطها.

هكذا بنى كنيسة كبيرة (إكلويا بالإغريقية) والتي صحفت إلى "القليس" بالعربية. ثم انطلق للجزيرة العربية ليهدم بيوت الأوثان بها ويبشر العرب بالمسيحية. ونظرا لجهله بعلاقة الكعبة بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، لم تكن الكعبة المشرفة بالنسبة إليه أكثر من بيت أوثان، وكان يظن أنه يتقرب إلى الله بهدمها. هنا تظهر لدينا إشكالية فكرية وعقائدية تحتاج إلى تفسير.

إذا كان "آبرهة" يبشر بآخر دين سماوي موجود في زمانه ضد الوثنية، فلماذا نزلت به لعنة الله ومحق الله جيشه بالطير الأبابيل فجعله كعصف مأكول؟ لم يكتف الله برده عن حرمة بيته الحرام ولكنه نكل به وجيشه. فما هي الحكمة الربانية هنا؟ وما هي الرسالة التي ساقها الله إلينا بتلاوة قصته علينا في القرآن؟

مشكلة "آبرهة" كانت في الطريقة التي اعتمدها لنشر دينه، الإكراه في الدين وعدم احترام حرية الآخر في اختيار عقيدته وسلوكه، ومخالفته للمنهج الرباني الذي أمر به الله في كل رسالات السماء: الحكمة والموعظة الحسنة. مشكلته أنه لم يحترم الإرادة الإلهية التي جعلت الإنسان مختارا لمصيره، فهدته النجدين ليصبح إما

---

[٢١] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٣ ديسمبر وعدد ٢٢ ديسمبر، ٢٠١١م، وعدد ١٧ يناير ٢٠١٢

[٢٢] صورة مصحفة من اسم نبي الله "إبراهيم" عليه السلام في العهد القديم "آبراهام"

شاكرا وإما كفورا. ولم يحترم قواعد رحمة الله التي جعلت الكون للبر والفاجر على السواء. غرت "آبرهة" قوته التي كان الفيل رمزا لها حتى نسبه الله في القرآن الكريم هو وقومه لرمز قوتهم وتجبرهم هذا، فاستخدم القوة في قمع الناس وإكراههم حتى ولو على الخير.

اليوم حين أطالع تصريحات فصيل الإسلام السياسي في أقطار ربيع العرب، أراها لا تمس إقامة نهضة اقتصادية كالتي أنجزها العدالة والتنمية في تركيا (وإن كانت نهضة قوامها التبعية الأمريكية)، ولا نهضة حضارية واقتصادية كتلك التي حققها "مهاتير محمد" في ماليزيا، ولا تنشغل بقضايا الفقر والجهل والمرض، لكنها فقط تدور في فلك: لو وصلنا للسلطة سنمنع هذا ونجرم هذا. أرى بعض فصائلهم يقفزون لتطبيق القانون في الشوارع بأيديهم دون انتظار. ويعتدون على بيوت الله من الكنائس هدما وحرقا. فهم يرون حرية الفرد في إطار فهمهم للدين، فإذا جاوز هذا الإطار فلا حرية ولا حرمة له. وهو نفس منطق أصحاب الفيل، لو ترك العرب كنيسة الرب ليعبدوا الأوثان فسنهدم بيوت الأوثان فوق رؤوسهم.

لهذا أبشرهم: من لا يرجع منهم عن غيه سيجعل الله كيده في تضليل طال الزمن أو قصر، ولا يغرنهم أي إنجاز مؤقت، فقد انتصر "آبرهة" على قبائل جنوب الجزيرة قبل أن يمحقه الله في الحجاز. لأنهم يعادون ناموس الله في كونه من حيث يظنون أنهم يوالون الله ويعملون بكلمات الله.

بين رحى الكبر والطمع

١ نوفمبر ٢٠١١م

تتحول الأحلام الكبيرة لكابوس حين يضعها ضعفنا البشري بين رحى الكبر والطمع، في هذا قال تعالى في سورة التوبة "وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ". وقال سليمان الحكيم في سفر الأمثال "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ". وها هو حصاد الثورة المصرية اليوم تطحنه رحى الكبر والطمع بسبب نفس الضعف في نفوسنا، وبغير أن يكون بيننا رسول معصوم كيوم حنين يردنا للحق من فورنا، ولا نبي حكيم كسليمان عليه السلام، ولا سبيل لكل فصائل الثورة إلا الاعتراف بما سقطنا فيه والتوبة إلى الله عما فرطنا في حق ثورتنا وشعبنا.

أدعوكم ونفسي يا ثوار مصر للتوبة من الكبر والطمع، أدعو الجميع بغير استثناء، من أتفق معهم في الرأي والرؤية حتى المحبة وبمقدمتهم شباب الثورة الناصري واليساري والليبرالي، ومن أختلف معهم حتى الخصومة وفي مقدمتهم الإخوان.

يا شباب الثورة: نعم كنتم "الورد اللي فتح في جناين مصر"، لكن الآفات أحاطت بالورود حتى كادت تقتلها فلا تبقي منها غير الشوك. ركبنا الكبر حتى سمينا الشعب "حزب الكنبة" وكأنه لم يستجب لنا ولم يمنحنا شرعية الثورة، وحتى ادعى بعضنا أنه الجيل الذي حفظ الوطن، وكل من سبقه كان ضائعا مضيعا، وادعى بعضنا أن النخب لم تقدم لنا شيئا كأن "عبد الوهاب المسيري" و"علاء الأسواني" و"عبد الحليم قنديل" و"حمدي قنديل" لم يكونوا بين تلك النخب. ركبنا الكبر ففصلنا ائتلاف الشباب عن مجلس الحكماء ليصبح كلاهما ضعيفا، وركبنا

الطمع فتحدث من لا يجيد الحديث وتقدم للعمل العام وللترشيح في الانتخابات من لا يملك لا مقومات الفوز ولا مقومات البناء بعد الفوز. وحتى طاب لبعضنا تمديد العلاقات مع منظمات المجتمع المدني العالمية في وقت تضر فيه تلك العلاقات قضيتنا وثورتنا أكثر مما تفيدها. والنتيجة؟ فقدنا انبهار الجماهير، ثم فقدنا تأييدها وثقتها، ثم فقدنا حتى احترامها. ألهذا خرجنا؟ أعلى هذا مات شهداؤنا؟

يا شباب الإخوان: نعم شاركتم في الثورة وفي حمايتها، برغم إحجام قيادتكم، لكن لغة الكبر والطمع سيطرت على قيادات جماعتكم بعدها. ركبهم الكبر حتى صاروا يحددون ما سيتفضلوا بتركه من مقاعد البرلمان لبقية الأطياف، كأن الشعب يأتمر بأمرهم فيطيع، وحتى هدد بعضهم من ينتقد الإخوان بأن زمن قبولهم للنقد والهجوم قد مضى، وخرج بعضهم ببدعة "الإخواني لا ينكح إلا إخوانية"، واختزل بعضهم الثورة فيكم دون غيركم. وركبهم الطمع فقادهم للحوار مع "عمر سليمان" في فبراير ودم الشهداء بعد لم يجف، ثم للتحالف مع المجلس العسكري في التصويت بنعم للتعديلات الدستورية والهجوم على جمعة ٧ مايو بأنها جمعة الملتفين على الشرعية، نفس الشرعية التي يرفضون اليوم بعضها ممثلا في الجدول الزمني لانتخابات الرئاسة المترتب على الإعلان الدستوري الذي أيدوه كأنه وحي منزل. وركبهم الغرور فتحدثوا عن منع هذا وتجريم ذاك كأنهم حاكمون بأمرهم. والنتيجة؟ فقدوا ثقة الناس حتى يقول قائل اليوم "خلوا الفلول يدخلوا البرلمان علشان الإخوان ميتحكموش فينا لوحدهم". ألهذا خرجتم؟

قال تعالى في سورة النور "وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"، وفي سفر أعمال الرسل من الكتاب المقدس "تُبْ مِنْ شَرِّكَ هذَا، وَاطْلُبْ إِلَى اللهِ عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ". ولو كنت أعرف أن البعض سيستقبل حديثي هذا بمزيد من الاستكبار، غير أني آمل في بعض آخر أن يشاركني التوبة من كبرنا وأطماعنا .. قبل أن يضيع كل شيء .. كل شيء.

ويكيمصر

٢٣ أكتوبر ٢٠١١م

قبل يناير ٢٠١١م كنا نلعن نظام مبارك القمعي وننعي الشعب المصري الخنوع اللي مش راضي يتحرك رغم الذل والفقر، والشباب الهايف الفارغ. بعد الثورة مباشرة كنا نقول الجيش والشعب إيد واحدة، والشعب المصري ظهر معدنه الأسطوري، والشباب العباقرة هم قادة المستقبل، و"فاروق الباز" و"زويل" مفروض ياخدوا جنب ويوسعوا لجيل الغد، والثورة المصرية غير مسبوقة في تاريخ العالم كله. واليوم نلعن قمع المجلس الأعلى، وننعي الشعب المصري اللي بقى فجأة حزب الكنبة، والشباب الواعد الصاعد طلع ما بين بلطجي وبين عميل مأجور، وانقلب انبهار الناس بشباب الثورة إلى ضيق واستخفاف، أما الثورة غير المسبوقة فصار البعض يسأل: هل كانت أصلا ثورة؟

إنها ثقافة الويكيبيديا، الموسوعة الإلكترونية "غير الموسوعية" التي تعرفك القليل عن كل شيء فتسمح لك بالحديث وكأنك تعرف كثيرا، ولا تسمح لك بالتفكير المتوازن وتكوين موقف من الحياة. ثقافة الجرايد والتوك شو قصيرة الذاكرة التي تؤدي للتفكير "القَطّاعي" والانطباعات اللحظية والعبارات القصيرة المطلقة. وكل ده عكس منهج المثقف الحقيقي الذي لا يملك رفاهية التفكير القطّاعي، فمن واجبه أن يفكر عبر خريطة الزمان والمكان، وينظم الأحداث في سياق الخريطة دي. فتعالوا نحاسب أنفسنا بموضوعية.

الجماهير التي نصفها اليوم بحزب الكنبة، أليست هي نفسها التي التحمت بالناشطين في ٢٨ يناير وما بعده فسقط النظام؟ الإنسان المصري لا هو خنوع ولا هو ثائر غير مسبوق. وإنما هو كغيره من خلق الله يخضعه اليأس للأمر الواقع وتحركه بارقة الأمل حين يراها نحو الثورة على هذا الواقع وتغييره. وفشلنا في

الحفاظ على حماس الجماهير لا يجعلها حزب الكنبة. فالشعب ليس قصير النفس ولكننا كنا ثوارا قصيري الرؤية وقاصريها.

الشعب أعطى تفويضا على بياض للمجلس الأعلى لما صوت بنعم على التعديلات الدستورية، ده صحيح جزئيا، ولكن ألم يعطه الناشطون تفويضا أخطر يوم انصرفوا من الميدان صبيحة التنحي؟ حتى لو لم يكن لديهم خيارات بديلة؟

المجلس الأعلى فتت القوى الثورية، ده برضو صحيح جزئيا، لكن ألم تسبقه القوى الثورية بتفتيت نفسها؟ هل حاسبنا الإخوان والأحزاب على المفاوضات المنفردة مع "عمر سليمان" في عز الاعتصام؟ لا، فلماذا لا يتصرف كل فصيل منفردا وفق طموحه السياسي لو كان ذلك لا يطرده خارج الصف الثوري؟

الجيش والشعب إيد واحدة .. جايز. لكن المجلس الأعلى بوضعه بعد الثورة صار طرفا سياسيا يعبر عن مصالح المؤسسة العسكرية بالضرورة. ليه نسينا إنه مش المجلس الأعلى للملائكة؟ وكونه الطرف الحاكم لا يرفع الحرج عن بقية أطراف المشهد السياسي ولا يعفيها من دورها في توجيه دفة البلاد.

ألم نفتت قدرات الثورة يوم فصلنا الشباب عن النخب بتكوين اتحاد شباب ومجلس حكماء كأنهما اتحاد طلبة ومجلس آباء؟ فصار الأول طاقة حشد بلا خبرة حتى فقد قدرته على الحشد لأنه لم يرشد استخدامها، وصار الثاني خبرات عاجزة عن الفعل فتوقفت حتى عن محاولة الفعل.

بعض شباب الثورة الذي كان تواقا للمعرفة قبل الثورة أغراه الإنجاز بقدرته على الفعل بمعرفة أو بدون معرفة. وتكفلت الفضائيات بالباقي لما أصابته بعشق الكاميرا والمايك. فحقق إبهارا للجماهير بحصيلته المعرفية أول الأمر ثم نفذ رصيده فسئمت منه الجماهير، وهذا طبيعي لأنه تكلم بقدر لا يسمح له بقدر معادل من البحث والتفكير. علشان كدة تصدرت المشهد السياسي عناصر كانت معارضة

داجنة أيام "مبارك"، أو غير معارضة على الإطلاق، ففقدت الجماهير ثقتها بأن شيئا جديدا يحدث، وبالتالي فقدت حماسها.

كنا نعلق على عناصر "آسفين يا ريس" بأن الشعوب لا تخطيء لتعتذر. واليوم نقولها للثوار، الشعوب لا تخطيء ولكن نحن أخطأنا يا رفاق، وعلينا أن نواجه هذا قبل أن يضيع كل شيء.

بل هي فتنة

١١ أكتوبر ٢٠١١م[٢٣]

السيد "شرف"[٢٤] يرفض تسمية ما وقع أمس واليوم من أحداث بالفتنة الطائفية[٢٥]، وهو ما يدفعنا لنسأله: ما هو تعريفك للفتنة يا دكتور؟ هل نحتاج للوصول لكارثة الحرب الأهلية (لا قدر الله) لنعترف أنه كان لدينا فتنة أدت إليها بعد فوات الأوان؟ الفتنة حالة كراهية ممنهجة بين طائفتين، كراهية لها منطق ودفوع وأفكار ودعاة ينشرونها، تتكتل في شكل بؤر صديدية في الجانبين بنسب متفاوتة، ولا تكون حالة عامة لأنها حين تقترب من العموم تقع الواقعة وتشتعل الحروب.

لماذا ننكر تشخيص حالتنا الحرجة ونصر أن السرطان دور برد؟ هناك فكر طائفي بغيض تسلل لمصر منذ النصف الثاني من السبعينات في صورة الوهابية التي ترفض الآخر المسلم فضلا عن المسيحي، وتطور مقابلها فكر مسيحي متطرف كرد فعل مجتمعي، لأن التطرف ينادي بعضه بعضا، فبعد إعلاء القيم الوطنية منذ العشرينات، والقومية منذ الخمسينات، جاءت نكسة الطائفية في السبعينات مع تراجع تلك القيم لتخرج أجيال ترى الوطن وعاء للطائفة يجب أن يتلون بلونها وإلا فالأفضل أن يحترق. الإسلام الحقيقي والمسيحية الحقة يرفضان العنف وينبذان الكراهية، نعرف هذا تماما ولا حاجة لتكراره صباح مساء، لكن فكرا باطلا خالط الحق فلوث وجه الوطن، تلك حقيقة ينبغي أن نواجهها.

---

[٢٣] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ١٦ أكتوبر ٢٠١١م، وفي جريدة الطريق عدد أكتوبر ٢٠١١م، وفي مجلة وسط البلد عدد ١٦ أكتوبر ٢٠١١م

[٢٤] عصام شرف رئيس الوزراء وقتها

[٢٥] أحداث ماسبيرو

اليوم بعد آخر الكوارث الطائفية أمس في ماسبيرو، وبعد صور الضحايا التي أدمت قلوبنا، حين تجد بين الناس من يشمت في هذا المصاب، ألا تكون لدينا فتنة؟ حين تجد من يرى هدم الكنيسة حقا ومن يرى منع طالبة مسيحية من دخول مدرستها بغير حجاب تصرفا طبيعيا، ألا تكون لدينا فتنة؟ حين تصبح الكراهية سما يتداوله الناس في بعض بيوت الله من المساجد والكنائس ألا تكون لدينا فتنة؟ حين يصبح تحقير الآخر الديني وجبة إعلامية شبه ثابتة ألا تكون لدينا فتنة؟ حين يندلع عنف في مدارس راقية بين طلاب مسلمين ومسيحيين على خلفية ما حدث أمس ألا تكون لدينا فتنة؟

لا بل هي فتنة وعلاجها لا يحتاج اختراعا ولا إلهاما، فعلاجها هو دولة تقف على مسافة واحدة (بجد) من كل مواطنيها على السواء، وسيادة القانون سواء قانون دور العبادة الموحد أو غيره، وسلطات قادرة على ردع من تسول له نفسه أن يتجاوز أنفه لأنوف الآخرين من دينه أو من غير دينه، وإعلام دولة يتبنى رسالة السماء السمحة الحقيقية وينبذ أئمة الضلال والتطرف من الجانبين ليواجه الفكر المتطرف الذي تصبه فضائيات لا سلطان لنا عليها.

لمن غرقم أبواق التطرف أقول: التاريخ يحكي دائما قصة واحدة للمجتمعات التي تتورط في الفتنة، الأغلبية لا تكسب والأقلية لا تخسر، فالكل يخسر لأن النار حين تشتعل بقرية لا تفرق بين بيت كبير وبيت صغير، لهذا فالأغلبية العددية مسئولية للاحتواء وليست ميزة للغلبة.

دلع الخوارج

٧ أكتوبر ٢٠١١م

هو دلع أخطر كثيرا من "دلع الهوانم". في صفين أصر الخوارج على قبول خدعة رفع المصاحف على الرماح والتحكيم وعصوا أمر الإمام "علي" بالاستمرار في القتال، ثم ظهرت لهم خيبتهم بنتيجة التحكيم، وبدلا من الاعتذار والتراجع كفّرُوا الإمام لقبوله التحكيم، وقالوا أن التحكيم كان التفافا على شرع الله، وأنهم كفروا بقبوله ثم تابوا، وعلى الخليفة أن يتوب بدوره. شوف إزاي؟ تذكرت موقفهم وأنا أشاهد الإخوان وحزبهم يطالبون اليوم بالانتخابات الرئاسية قبل وضع الدستور، فقلت سبحان الله وضربت كفا بكف.

كانوا يروجون لنعم في الاستفتاء بادعاء أنها تقصر المرحلة الانتقالية، وقتما كان شغلهم الشاغل هو انتخابات برلمانية بأسرع وقت قبل أن يرى المصريون بدائلا جديدة غير ثنائي الوطني والإخوان الذي اعتادوه، ووقتما كانوا مطمئنين لانحياز المجلس الأعلى في صفهم. بينما بح صوتنا ونحن نقول أن سيناريو التعديلات يمتد بتلك المرحلة حتى منتصف ٢٠١٢م، ونطالب بالدستور أولا.

يومها اتهمونا بالالتفاف على الشرعية، واتهمنا حلفاؤهم السلفيون بالكفر والفجور وعظائم الأمور بسبب الاعتراض على المسار المقدس الذي رسمه الإعلان الدستوري للمرحلة الانتقالية، وأصبحت كلمة "التفاف" تتردد على ألسنة عناصرهم ألف مرة كل يوم في الإعلام، واليوم بعد أن دعا المجلس الأعلى لانتخابات برلمانية تبدأ في نوفمبر وتنتهي في يناير فتحقق لهم الجزء الأول مما أرادوا، خرجوا يطالبون بالتفافة "صغنونة" على مسارهم المقدس، في صورة

انتخابات رئاسية قبل وضع الدستور[٢٦]. الآن لم يعد هذا التفافا على الاستفتاء؟ اليوم لم تعد مخالفة المسار خروجا على شرعية الإعلان الدستوري؟

ألا تستحون؟

الشرعية ليست مطية لأحد يركبها طالما كانت في اتجاه هواه، فإذا خالفت غرضه ترجل عنها. وموعد ٢٠ أبريل ٢٠١٢م الذي حددتموه لنقل السلطة غير متسق تماما مع المسار الذي دافعتم عنه بالصوت الحياني، بالبلدي: مفيش نقاوة، أنتم من ضيع أمام الله والأمة فرصة إصلاح ديمقراطي سليم (دستور ثم انتخابات رئاسية ثم برلمانية) وعليكم أن تتحملوا نصيبكم من نكبة كنتم سببها.

---

[٢٦] وهو ما تحقق لهم لاحقا بالفعل

دعاء المُكَفِّرين

٢٥ أغسطس ٢٠١١م

اللهم يا رب هذا الشهر[٢٧]، وقدير ليلة القدر، يا كاشفا عن القلوب وغافرا للذنوب وساترا للعيوب، اللهم قد قال نبيك وقوله الحق "إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما"، وقد علمت يا ربنا أن بعضا من عبيدك قد استباحوا حرمة شهرك المحرم، فقاموا على المنابر يكفرون الليبرالي واليساري والناصري. يكفرون كل من خالفهم، ويدعون عليهم ليردد الناس خلفهم الدعاء.

اللهم إني أشهدك أني يساري وناصري وأني لا أشرك بك ربي أحدا، أقترف المعصية مكثرا وأقارب الحسنة مقلا، لكني في هذه وتلك عبدك المقر بربوبيتك ووحدانيتك. فإن لم تعلم يا الله في قلبي كفرا فاجعلهم مصداقا لحديث نبيك، واحمل يا ربنا تهمة الكفر التي بهتونا بها عليهم في الدنيا عارا وفي الآخرة نكالا، حتى لا يتألى على ألوهيتك أحد فيقول هذا كافر وهذا مؤمن، ثم قدرنا يا الله لنقف لهم بالمرصاد وأفرغ علينا صبرا في الصمود لهم حتى لا يتسلطوا على عبادك، بسوء نفوسهم وظلام عقولهم، ويقولوا هذا من عند الله، تعاليت يا ربنا عما يقولون علوا كبيرا.

يا حنان يا منان يا من وسعت أرضك البر والفاجر والمؤمن والكافر، قد علمنا نبيك وصفيك من البشر، وعلمنا آل بيته وصحابته وتابعيهم، أن علامة الخوارج في آخر الزمان أنهم يكفرون الناس بالشبهة، وأمرونا ألا نغتر بقراءتهم القرآن لا يغادر حلوقهم، ولا بطول قيامهم ودوام صيامهم ومزاعم جهادهم، اللهم فمن

---

[٢٧] شهر رمضان المعظم عام ٢٠١١م

علمت في زماننا منهم فاكشف للناس زيفه وزوره، واهدنا وإياهم يا ربنا سواء السبيل. آمين.

رددوا معي الدعاء يا إخواني المتهمين بالكفر وجددوا النية لمقاومتهم وما يدعون.

أمن قومي ليه؟

٢٤ أغسطس ٢٠١١م[٢٨]

الجماعات الدينية تشيع إن الجيش ناوي يحط في الدستور مادة تكلف القوات المسلحة بحماية الدولة المدنية على غرار النموذج التركي، والحقيقة إن الجيش لا يحتاج إطلاقا لوضع مادة بالمعنى ده، ببساطة لأن مهمة الجيش في أي دستور هي حماية الأمن القومي للوطن وسلامة أراضيه. ولأن مدنية الدولة في حالة مصر مسألة أمن قومي زي ما صرح رئيس الأركان الأسبوع الماضي، تصبح حمايتها من صلب مهام القوات المسلحة، وبدون نص دستوري.

طيب لو الأغلبية صوتت لصالح التيارات الدينية في الانتخابات البرلمانية، مش ده معناه إن الشعب عاوز دولة دينية؟ مش هي دي الديمقراطية؟ يبقى إزاي الجيش يحمي مدنية الدولة كمسألة أمن قومي؟

نقول إزاي.

أولا: الديمقراطية مش صندوق وبس، الديمقراطية منظومة كاملة، ومنها منظومة قوانين دولية بيعيش العالم في إطارها. منها قانون حق تقرير المصير اللي بيمنع الأغلبية الدينية أو العرقية أو الفكرية من فرض هويتها على الأقلية، ومفيش نمط دولة يضمن إن محدش يفرض فكره وعقيدته على الآخر غير الدولة المدنية. كل واحد يقدر يعيش بنمط الحياة اللي هو عايزه طالما لا يفرض شيئ على الآخرين. بالمقارنة لو قامت "إمارة إسلامية"، ووفقا لفهم هؤلاء للدولة الإسلامية – والذي لا نوافقهم عليه – فسوف تنهار وحدة مصر التي دامت من عهد مينا كما انهارت وحدة السودان.

---

[٢٨] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ١٥ سبتمبر ٢٠١١م

ثانيا: الدولة بتقرر بالديمقراطية الاقتصاد والتعليم والصحة والصناعة وكل الأنشطة العامة تمشي إزاي، مش بتقرر بيها الفرد يلبس إيه والكاتب يكتب إيه والرسام يرسم إيه والمطرب يغني إيه، لأن كل ده أساسا مش شغل الدولة. دي حريات فردية. الديمقراطية هي حكم الشعب بالشعب، لخدمة قيمة إنسانية أكبر هي الحرية. من حقك تحلم من خلال الديمقراطية إنك تعيش زي ما إنت عايز، لكن مش من حقك تحلم تخليني أنا أعيش على مزاج سعادتك، من حقك تمارس عقيدتك لكن مش من حقك تفرضها على أحد. عاوز كل الستات تتحجب وماتلبسش مايوهات؟ انشر فكرك بالقنوات السليمة، ولو اقنعتهم كلهم يبقى برافو عليك.

ثالثا: مدنية الدولة هي الضمان لنهضة مصر، باستمرار علاقة صحية لمصر بالعالم وعدم تخريب الاقتصاد المصري بتخريب التجارة الدولية والسياحة، وعدم عزل مصر علميا وأكاديميا، وكذلك عدم عزلها إقليميا وإفريقيا، وتهديد مواردها المائية، وعدم هجرة العلماء والموهوبين والمفكرين جماعيا منها زي ما حصل في أفغانستان. أما بالنسبة لإخواننا المتمحكين في تجارب تركيا وماليزيا الناجحة، تركيا وماليزيا الاتنين بنص الدستور والقوانين والتطبيق دول مدنية بمرجعية دستورية تحترم الأديان، مش دول دينية إطلاقا. احترموا عقول الناس ولا تكذبوا عليهم.

رابعا وأخيرا: الأزهر وهو المرجعية الإسلامية المقبولة من عموم المصريين غير المنتمين للجماعات الدينية، وهو يقر مدنية الدولة قلبا وقالبا في وثيقته الزاهرة. وده معناه إن فهم الإسلام القويم المعتدل ومدنية الدولة يمضيان معا على الطريق دون تعارض.

لهذا كله فمدنية الدولة أمن قومي بالفعل.

سيناء بين التهوين والتهويل

١٩ أغسطس ٢٠١١م

القول بأن ما يحدث في سيناء تمثيلية من السلطات المصرية والإسرائيلية لخدمة أهداف سياسية، إنما هو تهوين سخيف لموقف شديد الجدية. وبالمقابل، فالقول بأن مصر على أعتاب حرب جديدة مع الكيان الصهيوني هو تهويل ساذج. والحقيقة أننا أمام اختبار حقيقي لصلابة مصر الثورة وقدرتها على السيطرة على أراضيها. أحداث سيناء خطر إرهابي حقيقي وليست تمثيلية. لماذا؟

– تضع هذه الأحداث المجلس الأعلى للقوات المسلحة في موقف صعب، فهو مطالب من شعبه بالرد بحزم على الاعتداءات الصهيونية، ومطالب من العالم وفقا للمعاهدة بالتركيز على تطهير سيناء من إرهاب التطرف الديني.

– العملية نسر ودخول قوات مصرية للمنطقة محدودة السلاح في سيناء تقتضي موافقة إسرائيل والقوات الدولية وفقا للمعاهدة، ولم يكونوا ليوافقوا على ذلك لو لم ترصد عيونهم خطر حقيقي.

– عصابات التكفير والهجرة والجهاد المسلحة في سيناء ليسوا بلطجية معروضين للإيجار. والإرهابي الذي فجر نفسه صباح اليوم في جنود مصريين ليس مأجورا ولكنه مضلل باسم الدين.

– التزامن بين انطلاق الإرهاب في العريش وجمعة "طمس الهوية" التي اشتهرت بجمعة قندهار في نفس اليوم لا يحتاج تمثيلية، فقد قصده الإرهابيون للإيحاء للجماهير بتلاحمهم مع قوى التطرف التي لا تتبنى العنف علنيا، وبعضها حديثة التوبة عن العنف كالجماعة الإسلامية.

ومن جهة مقابلة، فالواقعة الحدودية باستشهاد جنديين وضابط مصري برصاص صهيوني ليست بداية حرب، لماذا؟

لأن حدثا حدوديا يكفي لإشعال الحرب عندما يكون أحد طرفيها على الأقل لديه الرغبة في ذلك، ومصر وإسرائيل الآن لا تريدان الحرب لأسباب اقتصادية وسياسية داخلية. قد ترد مصر بحزم سياسي على الواقعة ولكنه لن يصل لشن حرب طبعا. كذلك لا أتوقع السيناريو الذي قاله اللواء "سيف اليزل" بإقدام الصهاينة على احتلال شريط حدودي لأنهم يعرفون أن هذا يجر مصر لحرب شاملة وجوبا. رفضنا الدائم لمعاهدة العار لا يعني أن نفكر بالأمنيات ولا أن نجر قواتنا لحرب في الوقت الخطأ.

وختاما، علينا أن نتذكر الفرق بين المجلس العسكري كطرف سياسي بحكم دوره في المرحلة الانتقالية، ومن ثم يكون من حقنا الاتفاق والاختلاف معه، وبين القوات المسلحة المصرية التي تخوض اليوم حربا ضد الإرهاب والتطرف في فيافي سيناء، والتي يتعين علينا أن نصطف خلفها بقلوبنا وعقولنا تقديرا لضريبة الدم التي يدفعها أولادنا وإخواننا لحماية مصر من التطرف والإرهاب.

الصوفية المفترى عليها

١٣ أغسطس ٢٠١١م[٢٩]

يتعرض التصوف لحملة تشنيع منظمة منذ النصف الأول من القرن العشرين على يد التيار الوهابي، وهذا صراع طبيعي للتناقض الكامل بين الاتجاهين من عدة جوانب، فالصوفية معنية بإصلاح الباطن والوهابية معنية بإصلاح الظاهر. وبينما كانت الصوفية شوكة في حلق الاستعمار من السنوسية في ليبيا والسودان، للتيجانية في المغرب، لدولة الدراويش في الصومال، نمت الوهابية في حجر الاستعمار البريطاني وازدهرت في ظل الهيمنة الأمريكية على الجزيرة العربية. الصوفية تتماشى بطبيعتها مع النهج الاشتراكي اقتصاديا بينما الوهابية تتناول الدين من منظور رأسمالي، وكذلك الصوفية فكر أصيل في الإسلام يصعب تحديد بدايته أو حتى أصل مسماه، وأحدث التقديرات أنه بدأ في القرن الثالث الهجري، والوهابية فكر حديث من القرن الثاني عشر للهجرة. وفي النهاية، بينما يعنى الصوفية بالرمز وبالتالي يهتمون بأضرحة آل بيت النبوة، يعتبر الوهابية هذا شركا ولهذا هدموا قبور السيدة "خديجة" وأسد الله "حمزة بن عبد المطلب"، بل وهموا بهدم قبر الرسول في مطلع القرن العشرين لولا أن منعهم "عبد العزيز بن سعود".

نظرة لأعلام التصوف تغنينا عن كثير من الكلام في تكذيب الافتراء على الصوفية والصوفيين. فأما تهمة الجهل والضلال فتردها أسماء كبار العلماء المعروفين بتصوفهم مثل "الحسن البصري"، "إبراهيم بن أدهم"، "محيي الدين بن عربي"، "جلال الدين الرومي"، "ابن الفارض"، و"أبو حامد الغزالي" من القدماء، فضلا عن شيخ الأزهر والإمام الأكبر "عبد الحليم محمود" رحمه الله من المحدثين.

---

[٢٩] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ١١ أغسطس ٢٠١١م

وأما تهمة التواكل وفقد القدرة على الفعل فتردها أسماء القادة والرواد من المتصوفين، وقد بينا في الهامش المراجع التي ذكرت ملامحا من تصوفهم: "نور الدين زنكي"[٣٠] أمير حلب قاهر الصليبيين، "صلاح الدين الأيوبي"[٣١] صاحب نصر حطين، "العز بن عبد السلام"[٣٢] فقيه الشام وخطيب الحشد ضد المغول، و"السلطان بايزيد"[٣٣] المنتصر على ممالك أوروبا في معركة نيقوبولس، فضلا عن الشهيد "عز الدين القسام"[٣٤] أحد أعلام النضال الفلسطيني المسلح.

أما القول بأن التصوف ينتشر في عصور تخلف وانهيار الدول والمجتمعات الإسلامية فلا يقوله إلا جاهل بالتاريخ والتصوف معا، فقد أقامت الصوفية دولا في السودان وليبيا، وصاحبت الطريقة المولوية السلطنة العثمانية من مبتداها إلى نهايتها، وكانت مزدهرة بازدهارها وانتكست مع نكستها.

يستغل المشنعون على التصوف بعض ملامح الفن الرمزي الصوفي الخاص ببعض الطرق الصوفية مثل الرقص الدائري عند المولوية التركية، وهؤلاء ننصحهم لضيق المقام أن يقرأوا عن الفن الصوفي وملامحه ورمزيته وهدفه. وكذلك يضلل الوهابية الناس حول الولاية والأولياء متجاهلين ما أخرجه "البخاري" في صحيحه "قال الله عز وجل من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه"[٣٥] والحديث أحد شواهد مقام الحب، أعلى مقامات التصوف[٣٦]، ولهذا حديث آخر.

---

[٣٠] ابن كثير في البداية والنهاية والكامل في التاريخ لابن الأثير

[٣١] ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب للزبيدي، خطط المقريزي، سياسة صلاح الدين الأيوبي في الشام والجزيرة– عبد القادر نوري، بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس

[٣٢] تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي للسيوطي

[٣٣] عرف بالتصوف وصاهر شيخ الطريقة المولوية وكان كثير الفتوحات مجللا بالنصر، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني، تاريخ الدولة العثمانية العلية لإبراهيم بك حليم

[٣٤] كان شيخ الطريقة التيجانية في حيفا

[٣٥] الحديث رقم ٦١٣٧ من صحيح البخاري

[٣٦] مقام الإسلام فمقام الإيمان فمقام الإحسان ثم مقام الحب

المصالحة الوطنية أول مشوار النهضة

١١ أغسطس ٢٠١١م

سؤال طرحته جريدة نهضة مصر في تحقيقها الرئيسي اليومي: من أين تبدأ مصر مشوار النهضة؟ ومع احترامي لكل من أدلى بدلوه في الإجابة، أرى رؤية مختلفة لأول الطريق الصاعد، ممثلة في مشروع شامل للمصالحة الوطنية. فالظروف المعيقة للنهضة بعصر "مبارك" مازالت تمد ظلالها على حاضرنا كالتالي:

- الفساد الذي طال كل مستويات جهاز الدولة خاصة والمجتمع عامة بعصر "مبارك" تحول اليوم إلى مخزون جماهيري للثورة المضادة، فكل فرد فيه يخشى على نفسه من يوم يطاله فيه الحساب ويلحق العار به وبأسرته.

- جهاز الأمن الذي استخدم كأداة قمع في عصر مبارك تحول لرافد للثورة المضادة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ليس بسبب الولاء للنظام السابق ولكن بسبب شعور كل فرد فيه من اللواء حتى أصغر أمين شرطة بالخوف من مصير مظلم.

- القضاء سيقيد بعائق جديد عن تنفيذ العدالة، وهو غياب الأدلة وعدم إحكام القضايا المقدمة إليه بسبب تضامن صغار الفاسدين والمنحرفين في جهاز الدولة وجهاز الأمن مع الكبار المقدمين اليوم للمحاكمة.

والخروج من هذه الأزمة لن يكون أبدا بالتفريط في حق الشعب، والذي تبنته تيارات دعت لبيع دم الشهداء وغض الطرف عن الماضي بكل ما فيه، لكنه كذلك لن يكون بالإفراط في محاسبة كل فرد على كل صغير وكبيرة لأن هذا يعني الغرق في مستنقع ثلاثين عاما من الفساد. وإنما يكون المخرج وسطيا من خلال مشروع

مصالحة وطنية يشبه ما تبنته العديد من دول أوروبا الشرقية للخروج من أزمات مماثلة، ونوجزه وفق رأينا في النقاط التالية:

جهاز الدولة

– مبادرة العفو مقابل المعلومات: بتحديد مهلة زمنية لصغار العاملين بجهاز الدولة (أقل من وزير وما يعادله)، يتقدم خلالها كل من كان ضالعا أو مطلعا على عمل من أعمال الفساد للسلطات بكل ما لديه من معلومات في صورة شهادة خطية مع الأدلة لو توفرت، وذلك مقابل العفو وضمان السرية الكاملة للمعترف، بحيث لا يشهر به ولا يضار ماديا ولا معنويا.

– محاسبة رؤوس الفساد المنتمين للدرجات العليا التي لم يشملها العفو (رئيس وزراء–وزير وما يعادله) باعتبار أنهم في مواقعهم تلك كانوا فاسدين ومفسدين بالضرورة، لتكون محاسبتهم رمزا لمحاسبة عصر بأكمله وليكونوا لمن خلفهم آية بتطبيق العقاب الرادع عليهم وفقا للقانون، وستكون المحاكمات أكثر فعالية بفضل المعلومات والأدلة التي ستنتج عن مبادرة العفو مقابل المعلومات.

– مضاعفة العقوبة لمن لا يتقدم بالمعلومات طلبا للعفو خلال المهلة ثم يثبت لاحقا تورطه بأي صورة في قضية من قضايا الفساد والانحراف.

الجهاز الأمني

– قضايا قتل الثوار لا يشملها العفو

– قضايا العنف والتعذيب والانتهاكات الحقوقية: تحاكم فيها القيادات والوزراء، ويتم فيها العفو عن الجنود وصف الضباط ومن بمستواهم في حالة تقدمهم باعترافات خطية عمن أصدر لهم الأوامر باستخدام العنف وأي معلومات لديهم بهذا الصدد، والاكتفاء بالجزاء الإداري للرتب الصغرى من ملازم حتى رائد في حالة التقدم بشهادات خطية مماثلة عن كل ما لديهم من معلومات وحقائق، والإحالة للتقاعد وتخفيف العقوبة لحدها الأدنى في قانون العقوبات للرتب الوسيطة

من مقدم وحتى عميد في حالة الاعتراف والتقدم بشهادة خطية بما لديه من معلومات عن انحرافات القيادات والوزراء. عندها فقط سيمكننا محاكمة القيادات وتطبيق العقاب الرادع عليها وفقا لما توفر من تراكم المعلومات بفضل مبادرة العفو وتخفيف العقوبات.

- قضايا الفساد والانحرافات في وزارة الداخلية تعامل معاملة مماثلة لجهاز الدولة

- مضاعفة العقوبة لمن لا يتقدم بالمعلومات خلال المهلة طلبا للعفو أو تخفيف العقوبة

بهذا وبهذا وحده في رأيي يمكننا إجهاض الثورة المضادة متصاعدة القوة، وبهذا وحده يمكننا حفظ حق الشهداء بتوفير الاعترافات والمعلومات التي تسلم الجلادين الحقيقيين لحبل المشنقة، وبهذا وحده يمكننا غلق صفحة عصر "مبارك" وبداية مشوار النهضة.

في النهاية أحمد الله أن موقفي من "مبارك" وعصره مكتوب ومنشور في عملي الأول الصادر في ٢٠٠٨م حتى لا أخشى اليوم من المزايدات والاتهام بأني من الفلول والفاسدين وأدافع عنهم، لتكون لدي الشجاعة لأقول ما أعتقد أنه الحق ولو كثر معارضيه. والله ولي التوفيق.

القفص وحنيَّة الــوِز

٦ أغسطس ٢٠١١م

مثل ريفي قديم عن الصنف ده من الحنية ورقة المشاعر عديمة المعنى والفايدة: زي الوز حنية من غير ....، والمثل يشير لالتصاق الوزة بفراخها بدون ثدي يشبعهم وبدون سبب، ذكرني بالمثل الإخوة كرام النفوس رقاق القلوب الذين تعاطفوا مع شيخوخة "مبارك" داخل قفص الاتهام. فأين كانت رقتهم يوم سُحِل "محمد عبد القدوس" في شيخوخته أمام نقابة الصحفيين؟ ويوم ألقي "عبد الحليم قنديل" في الصحراء عاريا؟ كانت فين عواطفهم الجياشة لما سممنا زبانية "مبارك" بقنابل الغاز الفاسدة في ٢٥ و٢٨ يناير، كانت فين دموعهم وضباط "مبارك" يطلقون الخرطوش على أعمدة النور وسط المتظاهرين لتتفتت وتنتشر في اللحم الحي حولها؟ وكانوا فين لما اصطاد القناصة زهورنا بالرصاص ولما داست مدرعات "مبارك" لحم الشهداء؟ هل فاضت عيونهم لمشهد عشرات الشباب بعد ما فقدوا نور عيونهم؟ أو لمشاهد الثكالى واليتامى؟

مالكم خيبكم الله؟ كيف تفكرون وتحكمون؟ تقولون "رجل مريض"، فنجيبكم: اللي قدر على الجريمة يقدر على المحاكمة والعقاب، وتقولون "شيخ كبير"، فهل رحم منا كبيرا أو صغيرا؟ وتقولون "بطل عسكري"، فهل شفعت لرئيس أركان العبور العظيم الفريق "سعد الشاذلي" بطولته العسكرية يوم تلقفه زبانية "مبارك" من المطار للسجن في ١٩٩٢م؟ قلوبكم الحنينة بالقوي مارقتش لأحد قدامى المحاربين وأبطال العبور وهو يفترش أرصفه مصر الجديدة بعد أن فقد مأواه في عصر "مبارك"، يبيع مناديلا ورقية ويرفض الصدقة؟ أم بألف مكيال تكيلون؟

مالكم؟ ما طبكم؟ ما دواؤكم؟ ألا تحتمل أعصابكم رؤية الطاغية بعدما قلمت الثورة أظافره؟ نسيتم كل هذا وتسألوننا: "يعني كسبتم إيه من منظر الراجل العجوز في القفص؟" .. يا سادتنا، لا نريد سيوفكم ولا قلوبكم، فقط كفوا عنا ألسنتكم، يعني بالبلدي: نقطونا بسكاتكم.

ذاكرة الأسماك

٣١ يوليو ٢٠١١م[٣٧]

بعد يوم ٢٧ مايو ٢٠١١م الذي نجحت فيه القوى المدنية منفردة في حشد مئات الآلاف في القاهرة والإسكندرية والسويس والمحافظات لدعم مطالب الثورة، كتبت مقالا نشرته جريدة نهضة مصر بعنوان "جمعة الحقيقة"، حول نجاح القوى الثورية رغم مقاطعة السلفيين وتشنيع الإخوان. حقيقة أذكر بها من يحاول اليوم اتهام القوى المدنية بغياب أرضيتها عند الجماهير مقابل الجماعات الدينية بعد نجاح جمعة السلفيين أمس، وكأننا كالأسماك لا نتذكر إلا اللحظة الراهنة.

قدرة الحشد لدى الجماعات الدينية مميزة بطبيعتها لعدة أسباب تتوفر لهم وتغيب عند غيرهم، وهي:

- شرط السمع والطاعة، فليس لدى الثوار عالم يأمر فيطاع.
- قنوات الاتصال الدائمة ممثلة في المساجد والمراكز الاجتماعية.
- تسهيلات الانتقال والإعاشة بحكم الموارد المالية الضخمة.

لكل هذا لما يفاجئني الحشد الكبير في جمعة السلفيين، ولا فاجئتني مخالفة الجماعات الدينية لما اتفقت عليه مع القوى الوطنية، فهم يتعاملون معنا كأغيار أو "جوييم" فليس خداعهم لنا عيبا مشينا، فقط فاجئني رفع علم العربية السعودية في ميدان التحرير، لتصبح جمعة الهوية طمسا للهوية. والدرس المستفاد هنا أن خلط الزيت بالماء مستحيل وعلى القوى الثورية أن تخرج تلك الجماعات من حسابها بقرار يحترمه الجميع. وعلى من يدعي استحالة العمل بغيرهم أن يجيب هذا

---

[٣٧] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٩ أغسطس ٢٠١١م. وفي جريدة المراقب، عدد ٦ يونيو ٢٠١١م. والفضل في وضع عنوان "ذاكرة الأسماك" لهذا المقال يرجع لحوار حول موضوعه مع الناشط "محمود الجوهري" وصف فيه ذاكرتنا الشعبية بذاكرة الأسماك.

السؤال: لماذا فشل الإخوان منذ ثمانين عاما، والسلفيون منذ السبعينات في تثوير الشارع رغم قدرتهم على الحشد؟ لماذا لم يشاركوا في ٦ أبريل ٢٠٠٨ و٢٠٠٩، ويناير فبراير ومارس ٢٠١٠ ثم ٢٥ يناير نفسه؟ الإجابة هي الخوف من بطش النظام والتعامل معه كثابت كوني، حتى خرجت الحركات الوطنية الفتية التي صنعت الثورة ونتكالب عليها اليوم تشويها وتمزيقا، فلا نامت أعين الجبناء.

أما نحن فلن نتعامل مع قوى اليمين الديني كثابت كوني حتى لو نجحوا في القفز على السلطة، فلسوف نعارضهم كما عارضنا من قبلهم وبنفس الصلابة، وسنجيب من يهول علينا بكثرتهم كما كنا نجيب على من يهول علينا بقوة نظام "مبارك": قاومناكم .. ذلك يكفي.

أما التغيرات التي أحدثتها جمعة السلفيين على المشهد السياسي وكيف يكون ردنا عليها فأهم النقاط هي:

- كشف النقاب عن هدف الدولة الدينية المشترك لدى الكل وانتهاء مماحكات الدولة الميكس بين المدنية والدينية التي كان الإخوان يدعونها.

- تراجع صدارة الإخوان للتيار الديني لصالح السلفيين بعد حضورهم بنسبة لا تزيد عن ٢٠% مقابل ٨٠% للمعسكر السلفي.

- سيبدأ العد التنازلي لشهر العسل مع السلطة العسكرية تدريجيا، خاصة مع تزامن جمعة طمس الهوية تلك مع أحداث سيناء.

روح تايهة يا ولاد الحلال

٢٠ يوليو ٢٠١١م[٣٨]

"لابد من استعادة روح الميدان .. لازم كل فصيل يقدم أهداف الثورة على مصالحه .. لازم نتحد تاني"

عبارات جميلة لكنها مثالية جدا بالنسبة للمشهد السياسي الحالي. العقل الجمعي مر خلال أيام الثورة الأولى قبل التنحي في ١١ فبراير بحالة استثنائية صنعت ما نسميه روح الميدان، لحظات خاصة يهون العمر أمامها، وهدف وحدنا فأظهر أحسن ما فينا، لكن للأسف لا يمكن استعادته إلا لو عاد الزمن للوراء.

ولكن، هل كانت روح الميدان ثابتة حتى عبر ١٨ يوما هي عمر الاعتصام الأول؟ في تقديري كانت ليلة ٢٥ يناير حالة فناء كامل في الهدف، وتوحد كامل في مواجهة القمع، ونقاء ثوري كامل يذيب الذات في الكل. عرفنا جميعا ليلتها أن حدثا كبيرا يولد من رحم المستحيل، ولهذا السبب نفسه تعامل كل فصيل سياسي بعدها مع الحدث كأمر له ما بعده وإن احتفظ الكل بظواهر التوحد كاملة، وبقيت العناصر غير المنتمية لأي فصيل سائدة عدديا بفارق كبير لهذا احتفظ الميدان بجانب كبير من نقاوته. وبعد ذلك جرت المياه التي تعرفون تحت الجسور.

نجح يوم ٨ يوليو في خلق حراك سياسي لأنه أثبت يقظة رجل الشارع ومتابعته لتحقيق أهداف الثورة، وكذب مزاعم أي فصيل يحتكر لنفسه القدرة على الحشد، فللشارع ضمير يتبعه ولا يتبع غيره، ومع ذلك لم تكن هناك روح الميدان الأولى لأن الغالبية لم تتوحد تماما مع "الثورة أولا"، فكنا أشبه بحجيج يلبسون ملابس الإحرام الموحدة ويضع كل منهم على رأسه قبعة مميزة، ووصل التحفز للآخر

---

[٣٨] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٢٨ يوليو ٢٠١١م

للاعتداء على "ممدوح حمزة" الليبرالي ثم "صفوت حجازي" الإسلامي، وكثرت الرايات والشارات، وسادت فوضى المطالب لتصبح "المحصلة التراكمية" لصوت الميدان متناقضة، ولو جمعناها مع بعضها البعض لصارت مضحكة حتى البكاء.

"نريد محاكمات رادعة سريعة .. ومع ذلك مدنية لا ثورية ولا عسكرية" ..ودي تيجي إزاي دي؟ محاكمات سوبر مدنية؟

"نريد الدستور أولا، والانتخابات أولا، والمباديء فوق الدستورية أولا .. وطبعا الثورة أولا"

"نطالب المجلس العسكري بممارسة سلطاته لتحقيق كذا وكذا .. ونطالبة بالتخلي عن السلطة"

"نطالب بخروج ممدوح حمزة وصفوت حجازي والأحزاب .. والواد اللي هناك ده علشان شكله مش عاجبني"

الأفضل أن نعترف بشجاعة أن الطرق قد تباعدت بنا، ولم يعد التوحد ممكنا، والأجدى هو التفاهم والتنسيق بين فرقاء يجمعهم مشترك أدنى، لأن الاستمرار في طلب الكمال ضد طبائع الأمور ويؤدي لظهور مزيد من النقائص ويخصم من رصيدنا لدى رجل الشارع. لا داعي للبحث عن روح تاهت في غياهب النفوس ولن تعود.

ثمن الدم وثمن الوطن

٧ يوليو ٢٠١١م[٣٩]

تواترت أخبار عن محاولات بائسة لإيجاد مخرج شرعي لقتلة الشهداء من ضباط الشرطة، ومنها أن أحدهم يقول لأهل القتيل أن قبول الدية فرض عليهم لأن القتل كان خطأ، وحدد "بسلامته" قيمة الدية بحاولي نصف المليون جنيه، لأنها تعادل قيمة مائة ناقة، وهو كلام يعتوره الخطأ من أوله لآخره، شرعيا وقانونيا ووطنيا وإنسانيا.

العوار الشرعي

القتل كان عمدا وليس خطأ أو شبه عمد: تعريف القتل العمد شرعا هو "قصد الفعل والشخص بما يقتل قطعاً أو غالباً"، وإطلاق النار يدخل في هذا طبعا، فقد استعد الجاني بسلاحه الناري ورصد ضحاياه ثم عمد إليهم فقتل منهم وأصاب، ومثله من كان يستهدف رؤوس الشباب يوم الجمل بالرخام والحديد، فالآلة الراضة الثقيلة إذا كانت مدببة أو محددة كانت قاتلة. فهذا لا يمكن وصفه بالقتل الخطأ، ولا بالقتل شبه العمد الذي قالت به بعض المذاهب وتحفظ عليه الإمام "مالك"، فالقتل شبه العمد هو "عنف استخدمت فيه آلة غير قاتلة عمدا وبدرجة غير قاتلة عادة، بهدف إيذاء الضحية، لكنها قتلته"، مصداقا لقول رسول الله "أَلاَ إنَّ دِيَةَ الخَطَإِ شِبْهِ العَمدِ مَا كَانَ بالسَوْطِ وَالعَصَا مِائَةٌ مِنَ الإبلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ في بُطُونهَا أَوْلاَدُهَا"، والسوط والعصا ليستا أدوات قتل في الاستخدام المألوف لهما، فاستخدام قنابل الغاز بكثافة عادية ووفاة ضحية بسبب حساسية مثلا تعد قتلا شبه

---

[٣٩] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ١٦ يوليو ٢٠١١م

عمد، لكن عندما تستخدم بكثافة قاتلة كما حدث ثم يموت الضحية اختناقا فهذا يدخل في باب العمد.

والدية غير مفروضة على أهل الميت في القتل العمد: فالدية المفروضة على الطرفين شرعا هي دية القتل الخطأ، كحوادث السير وغيرها، مصداقا لقوله تعالى "وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ"، ونلاحظ أن الآية جمعت بين الدية المسلمة لأهل القتيل وبين الغرامة لصالح المجتمع ممثله في تحرير رقبة، أما القتل العمد وشبه العمد فتعددت آيات القرآن فيهما، وكذلك الحديث الشريف "من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بيّنة فإنه قود إلاّ أن يرضى أولياء المقتول"، والقود هنا للقتل، ونص الحديث يوضح أن قتل القاتل قاعدة ورضى أولياء القتيل هو الاستثناء.

ثم أن الدية غير محددة القيمة في القتل العمد: فهي محددة بقيمة تقديرية في القتل الخطأ، وبقيمة زائدة في شبه العمد، أما في القتل العمد فالمعيار هو رضا أهل القتيل ولو اشترطوا أضعافها، فقد فاوض الإمام "الحسين" يوما أهل قتيل حقنا للدم بين قبيلتين فوصل لعشرة آلاف ناقة (٥٠ مليون جنيه)، ولم يرض أولياء الدم فقيد القاتل للقصاص. ويجوز للقاضي شرعاً أن يجمع بين قتل القاتل وبين جزاء مادي يحصل من تركته لصالح أهل القتيل لو رأى ذلك.

العوار القانوني

وهو غني عن الذكر، فالقتل تم عمدا ومع توافر العديد من الظروف المشددة كما عرفها القانون، فكان هناك سبق إصرار نظرا للمدة الزمنية الفاصلة بين تلقي الأوامر والاستعداد بالسلاح والتنفيذ، وتعريف سبق الإصرار لا يشترط تحديد هوية القتيل وفقا للنص القانوني "هو القصد المصمم عليه لارتكاب جريمة تعد جناية أو جنحة يكون الغرض منها إيذاء شخص معين ومحدد أو إيذاء أشخاص غير معينة أو محددة"، وكان هناك ترصد بعنصريه المكاني والزمني لقتل الشهداء،

وأخيرا اقترن القتل بجنايات أخرى هي إحداث الإصابات والعاهات لضحايا آخرين في معظم الحالات. وهو ظرف مشدد ثالث.

العوار الوطني والإنساني

مجرد البحث عن مخرج شرعي للجناة الذين خاضوا في دم الشهداء بأنفسهم أو أمروا غيرهم بهذا ردة وطنية وثورية يغتال فيها حق المجتمع ومستقبله، وهو ما لا يحتاج إلى استفاضة ولا توضيح، فالحديث عن الدية وقبولها قد يجوز في حالات الجنايات العادية وليس في حالتنا هذه، فشهداء حررت دماؤهم الملايين ليسوا مجرد قتلى، ومن يقدر لدمهم اليوم ثمنا ويبيعه، سيقدر لمصر في الغد ثمنا ويبيعها، فثمن الدم هنا هو ثمن الوطن ذاته. بكم ناقة تثمنون مصر يا سادة؟

موعدنا الثورة

٤ يوليو ٢٠١١م[٤٠]

حتى نحفظ كرامة الوطن بقصاص الدم، ونحفظ حقه بمحاكمة ناجزة لرؤوس الفساد، حتى نطهر مؤسساتنا من أدران الأمس، ونطلق يد حكومة ثورية في الإصلاح والإنتاج ليشعر كل مواطن بالتغيير، حتى تكون الثورة أولا قبل الأطماع السياسية، ويكون الوطن أولا قبل المصالح الطائفية، من أجل جهاز أمني يشتد على المجرمين ويحترم الجماهير، ومن أجل دستور وفاق وطني يحفظ وحدة الوطن ويطلق طاقاته للبناء، من أجل كل هذا، وحتى يستعيد الشعب زمام ثورته موعدنا الجمعة ٨ يوليو في التحرير وكل ميادين مصر .. موعدنا الثورة.

قطار الثورة لن يتوقف بسبب الأشباح، لن نخاف من شبح الخطر الاقتصادي الذي تكذبه التقارير الدولية بالأرقام والحقائق، فالاستقرار والتنمية لن تتحقق بغير تحقيق مطالب الثورة وليس تمييعها، ولن نخاف شبح البلطجة وعودة القمع الأمني بالرصاص وقنابل الغاز، فنحن اليوم أكثر استعدادا للفداء منا يوم ٢٥ يناير بعد أن ذقنا الحرية والنصر على الطاغوت. كذلك لن نخاف شبح المقاطعة لأننا نثق بفطنة شعبنا، ولن تفلح حيلة مؤتمر الجيزة ولا مكيدة الانتخابات العامة للصيادلة في ذات اليوم[٤١] إن شاء الله في الحد من زخم اليوم.

أما "القواعد من الرجال" الذين قرروا مقاطعة ٨ يوليو فهذا شأنهم، ولو توقفوا عند مقاطعة الحشد والتشويش عليه لسكتنا عنهم، لكنهم حاولوا تشويهه قدر جهدهم، لهذا نقول فيهم قول الله تعالى "لو خَرَجُوا فيكُم ما زَادوكم إلا خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُم يَبْغُونَكُمُ الفتنةَ وَفِيكُم سَمَّاعُونَ لَهُم وَاللَّهُ عَلِيمٌ بالظَّالمين"

---

[٤٠] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٨ ديسمبر ٢٠١١م

[٤١] نظمها الإخوان المسلمون في نفس اليوم بهدف تمييعه أيام وفاقهم مع المجلس العسكري

صدق الله العظيم، خيارهم السلطة وخيارنا الشعب، طريقهم الصفقات السياسية وطريقنا الحشد الثوري، رأيهم التفاوض مع الأمريكان ورأينا استقلال القرار الوطني وعودة مصر لمعسكر المقاومة.

موعدنا ٨ يوليو يا أحرار مصر في جمعة استرداد الثورة، موعدنا الثورة. وعلى الله قصد السبيل.

تاريخنا بين النفخ والسلخ

٣٠ يونيو ٢٠١١م[٤٢]

عندما ينوي الجزار سلخ جلد الحيوان بعد ذبحه، يقوم بنفخ الذبيحة حتى يسهل سلخها، وهذه نفس الآلية التي تعاملنا بها مع ثورتنا. اليوم نتعامل مع الثورة بمنطق "السلخ" بعد أن تعاملنا معها أمس بمنطق "النفخ"، ودي عادة تاريخية لازمتنا في تاريخنا الحديث. كان صمودنا بطوليا ونصرنا السياسي مدويا ضد العدوان الثلاثي في ١٩٥٦م فغير الخريطة السياسية للعالم في حينه، لكننا سكرنا بعده بالنصر فوصلنا لمرحلة "نفخ الذات" وتصورنا أننا مرمطنا جيوش ثلاث دول ودمرناها، ومرت السنوات لنصل لمرحلة نتجاوز فيها جلد الذات إلى "سلخ الذات" فنجعل من نصرنا هزيمة نكراء وندعي أن نصرا اعترف به العالم كان من صنع الإعلام الرسمي!

في أكتوبر ١٩٧٣م قمنا كذلك بنفخ ذاتنا فتصورناها معركة لم يعرفها تاريخ الحروب من قبل، لتنحدر بنا السنوات ونصل لحين من الدهر يجعلنا سلخ الذات فيه نقول بأنها كانت هزيمة مقنعة، كأننا مستخسرين في نفسنا الانتصارات. قل مثل هذا في ثورة "عرابي" التي صارت "هوجة" عرابي، وثورة يوليو التي صارت انقلابا عسكريا رغم التأييد الشعبي الذي منحها اسمها، ثم اتهمت بأنها صنيعة أمريكية.

واليوم، قمنا بثورة مجيدة أعجب بها العالم كله، فسكرنا بثورتنا وجعلناها غير مسبوقة ولا ملحوقة، وسميناها ثورة شباب كأن هناك ثورة في العالم قام بها شيوخ

---

[٤٢] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٣ يوليو ٢٠١١م

وعجائز، ونفخ المجتمع والإعلام في الشباب، وقسمنا المجتمع لأجيال فرطت وجيل انتصر، ولم تمر سنوات وإنما شهور، فإذا بنا اليوم ننحدر ليصف مصريون مثلي ومثلك ثورتنا بأنها كانت ثورة أمريكية مخططة، وصار الشباب الملهم شبابا مضللا في قول وعميلا في قول آخر، وأصبح ورد الجنانين نباتات متسلقة يجب قصها من جذورها، وبقوا ملتفين على إرادة الشعب وشوية عيال عاوزة تحكم البلد، ولم ينج مقام الشهداء من عادة سلخ الذات التاريخية، فوجدوا ألسنة قذرة تصفهم بالبلطجية والصيع والمدمنين. كأننا مش مصدقين أننا شعب ثار وانتزع حريته وسدد ثمنها من دم أطهر أبنائه.

الأدهى والأمر من أحداث الثلاثاء الدامي في التحرير هو تعليقات رجل الشارع عليها، وأن المصيدة التي أعدت للثوار ومسرحية البلطجية البوليسيين أدوا مهمتهم في تضليل الرأي العام، ليسود السؤال العليل "هم العيال دول عاوزين إيه؟"، وإجابته ببساطة: عاوزين نفس اللي كانوا عاوزينه يوم ٢٥ يناير ولم يتحقق لليوم، الدستور والحرية والعدالة.

طوبى للقلة المندسة

٢٢ يونيو ٢٠١١م[٤٣]

قال سيدنا "محمد" صلوات الله عليه "فطوبى للغرباء"، وقال المسيح عليه السلام "طوبى للمطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السموات"، فلعل في القولين عزاءً للناشطين السياسيين والمثقفين ممن كان نظام "مبارك" يصفهم بالقلة المندسة، ويصفهم الإخوان والسلفيون اليوم بالقلة الملتفة على إرادة الشعب بسبب قضية "الدستور أولا"، والتي تتبناها كل القوى التي تبنت الحراك الثوري منذ ٢٠٠٤م، وقتما كان غيرهم يقدمون رجلا ويؤخرون رجلا، ويعقدون الصفقة تلو الصفقة مع النظام البائد.

قد تكون القوى الثائرة قليلة العدد نسبيا، ولكن الحق على مر التاريخ بدأ غريبا حتى أظهره الله بأمره وبتضحيات المؤمنين، وجميع محطات الحراك الثوري في مصر بدأت بقلة مندسة حتى كتب الله لها النجاح، فبدأت كفاية عام ٢٠٠٤ بدعوة القطب اليساري "عبد الوهاب المسيري" رحمه الله وبتوقيع ٣٠٠ مثقف مصري على وثيقة رفض التمديد والتوريث، وتظاهرة دار القضاء العالي في ديسمبر من نفس العام، وبدأت حركة ٦ أبريل بمبادرة "إسراء عبد الفتاح" عضوة شباب الغد الليبرالي في الدعوة لإضراب ٢٠٠٨، وبدأت الجمعية الوطنية للتغيير بمبادرة من الرمز الليبرالي الدكتور "محمد البرادعي" وعدد محدود من المثقفين، وبدأت حملة التوقيع على بيان التغيير وحملة طرق الأبواب بعدد محدود نسبيا من الشباب الليبرالي ثم لحق بها من لحق، ووقفات حداد الغضب على اغتيال "خالد سعيد" قام بها بضعة مئات، والدعوة ليوم ٢٥ يناير جاءت من ٦ أبريل و"كلنا

---

[٤٣] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٢٦ يونيو ٢٠١١م

خالد سعيد" وحملات ترشيح البرادعي وصباحي ورابطة البرادعي للتغيير، فكانت الثورة ليبرالية اجتماعية في فجرها وصبحها وضحاها، ثم لحق بها عند الظهر من لحق.

واليوم يصف "طلقاء الثورة" المتأخرون السابقين إليها من اليسار والليبراليين بالكفر والفجور وفظائع الأمور، فقدر هذه القلة الأبية الحرة الواعية أن تكون معارضة قبل الثورة وبعدها، وأن تتعرض للتخوين والتشويه والتشهير قبل الثورة وبعدها، فصبرا على المكاره يا إخوتي، إن وعد الله حق. إن موعدنا فجر الحرية، أوليس الفجر بقريب؟

وضاعت ثورة مصدق

١٥ يونيو ٢٠١١م[٤٤]

ألهمت ثورة "مصدق" في إيران عام ١٩٥١م ثورة يوليو في مصر ١٩٥٢م مثلما ألهمت ثورة تونس الثورة المصرية في عامنا الجاري. كانت ثورة رئيس الوزراء المنتخب الدكتور "محمد مصدق" ثورة مدنية عظيمة قبل أن يجهضها الأمريكان من داخلها، واليوم صار جليا أن الولايات المتحدة وأذنابها في الشرق الأوسط يحاولون الركوب على ربيع العرب وتحويله إلى صيف الكذب، لهذا قد يفيدنا أن نستعيد دروس العملية المخابراتية "آجاكس" التي أطاحت بمصدق وثورته.

قاد الدكتور "محمد مصدق" حملة برلمانية لتأميم شركة النفط الآنجلو-إيرانية، مدعوما بحزب تودة الشيوعي والأحزاب القومية واليسارية، وحدث تحالف مؤقت مع الإسلاميين بقيادة "آية الله كاشاني" مؤسس جماعة "أنصار الإسلام"، وذلك بهدف الحد من نفوذ الشاه وصلاحياته الدستورية، حتى تم انتخاب "مصدق" رئيسا للوزراء في ربيع ١٩٥١م، فبدأ حزمة إصلاحات ثورية في الاقتصاد الإيراني وتوَّجَها بتأميم النفط في مايو من نفس العام ضد رغبة الشاه، وهنا بدأت بريطانيا بالتعاون مع القوى الموالية للشاه في العمل على خلق ثورة مضادة، متبعين روشتة الإجهاض التالية:

- كسر جبهة "مصدق" الوطنية بخروج بعض الإسلاميين ما عدا "كاشاني" منها، لأنهم كانوا الفصيل غير المتجانس فكريا مع بقية أطياف الجبهة الوطنية.

---

[٤٤] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ١٩ يونيو ٢٠١١م

- العمل ضد مصدق في المناطق الريفية منخفضة المستوى التعليمي، وضخ الأموال للقوى المضادة لاجتذاب الأتباع والأعوان.
- تضخيم الخسائر الاقتصادية التي لحقت بإيران من جراء تأميم النفط ووقف ضخه المؤقت بغض النظر عن مزاياه بعيدة الأمد، وتهديد المواطنين بالجوع ووقف رواتبهم.
- أعمال الشغب المتكررة في المناطق الفقيرة للإيحاء بالفوضى.
- استخدام الأموال والبلطجة للتأثير في نتائج الانتخابات البرلمانية في ١٩٥٢ مما أدى لقرار "مصدق" بوقف الانتخابات.

وهنا، تشجع الشاه على الحد من صلاحيات رئيس الوزراء الذي فقد الإجماع، مما اضطر "مصدق" للاستقالة، وبعد استقالته وتكليف سياسي محافظ موالي للشاه بتشكيل الوزارة قام الاشتراكيون وحزب تودة وأتباع "كاشاني" بمظاهرات حاشدة في أنحاء إيران، وحاول الجيش الموالي للشاه قمعها فراح ٣٠٠ شهيد وآلاف الجرحى ضحية للقمع، حتى قرر الجيش التخلي عن الشاه تجنبا للحرب الأهلية، فأعاد الشاه "مصدق" للحكم مكرها وبكامل صلاحياته السابقة. وأصبح الشاه عاجزا معزولا في قصره.

بحلول عام ١٩٥٣م وصل "دوايت أيزنهاور" للبيت الأبيض رئيسا، وأقنعه صديقه "عبد العزيز بن سعود" أن نجاح "مصدق" معناه ضربة قاصمة لأمريكا وانتصار كبير للشيوعية في المنطقة، فقرر "أيزنهاور" التحالف مع البريطانيين وتم التخطيط للعملية المخابراتية "آجاكس"، والتي تم تنفيذها وفقا لمستندات المخابرات المركزية[٤٥]، ووفقا لمذكرات "كيرمت روزفلت" المدير الإقليمي للمخابرات المركزية وقتها، وكان تنفيذها كما يلي:

---

[٤٥] المفرج عنها في ١٩٩٧م وفق قانون حرية المعلومات

– وصل "كيرمت رزوفلت" للسفارة الأمريكية في طهران وبدأ قيادة العمليات بنفسه.

– تم التفاهم مع "كاشاني" لينشق على "مصدق" ويشن حملة إعلامية عليه تصل لحد التكفير.

– بدأ الإسلاميون في اتهام الاشتراكيين والقوميين بأنهم يعملون لبناء دكتاتورية "مصدق"، ويهدمون الإسلام.

– جرت أحداث فوضى ومعارك شوارع بين جماعات صورية حركتها المخابرات المركزية لتعطي شكل حرب أهلية بين أنصار "مصدق" وخصومه ليخشى الإيرانيون على مستقبل بلادهم.

– تم تهريب الشاه لروما ليصدر من هناك قرارا بتنحية "مصدق"، وتولت المخابرات المركزية حشد التأييد لهذا القرار من القوى الموالية لها في الشوارع.

– تحرك جنرال موالي للشاه مع جزء من الجيش لقصف طهران وبيت "مصدق" الذي نجا من القصف واستسلم للقوات الغازية.

بعد ذلك طبعا عاد الشاه خلال أيام واستقر "مصدق" في السجن ثم في بيته محدد الإقامة حتى وفاته في الستينات، تاركا لنا قصة ثائر حاول ونجح ثم أجهضت ثورته بمنتهى الخسة، وجاء النخر في ثورته أول ما جاء من داخلها، فالهزائم تبدأ دوما من الداخل، خاصة لو كانت قوى الثورة غير متسقة فكريا وأيديولوجيا. اتعظوا يا أولي الألباب.

نحن غرابا عك

٦ يونيو ٢٠١١م

نحن غرابا عك .. عك

عـــكُ إليك عـانية

عـبادك اليمـــانية

كيما نحـج الثـــانية

على الشداد الناجـية

نحن غرابا عك .. عك

في الجاهلية كانت قبائل العرب في موسم الحج تحرص على تمييز حجاج كل منها بتلبية خاصة بها، فكانت قبيلة "عك" اليمنية تقدم أمام حجيجها عبدين أسودين عاريين، جهيري الصوت كالغربان يهتفان: نحن غرابا عك، فترد عليهما جموع القبيلة بهذه التلبية[٤٦]، والتي أحيتها السينما المصرية.

تذكرت هذا وأنا أسمع فيديو ناشطة الرق الكويتية التي تدعو لاسترقاق نساء الشيشان وغيرها من البلاد التي تمر بحروب وأزمات لحماية رجال الكويت والشعوب المرفهة من الزنا، جاءت تلك التصريحات بعد زوبعة السيد "الحويني" حول حل الأزمة الاقتصادية بالغزو والسبي، وحل الكبت الجنسي بملك اليمين، والتي خرج يبررها فقال أنها قديمة منذ ١٨ عاما، وأنه كان يتحدث عن الماضي ولا يدعو لعودته، ولو سمع خطبته لسمع نفسه يربط بين فقرنا المعاصر وبين تركنا

---

[٤٦] المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي

لجهاد الطلب، ومن ثم حرماننا من فرصة العودة "بأربع شحطة وأربع نسوان وكام عيل"[47]، حيث قيم فيها "الرأس" البشري بستمائة دينار، وكل ما تتزنق تبيع لك جوز بني آدمين!!

المشترك بين الناشطة الكويتية والشيخ السلفي هو نفس الفراغ العقلي والروحي، والرغبة في الظهور بالشذوذ، والتي كانت لدى "علك" في تلبيتها الشاذة التي تسمي الأسود غرابا. تذكرتها .. لأن العلك بالعلك يذكر.

هل تستبعد أن يكون هناك من يفكر هكذا اليوم في القرن الحادي والعشرين وتقول لابد في الأمر من خلط؟ لا تعجب، فمن يعتقد أن لديه طرح يغنيه عن النظر في الآفاق وفي نفسه، وعن التعلم من تجربة مائتي ألف عام للبشر فوق الأرض، يمكنه أن يكفر بأي شيء. هل تعرف أنه حتى عام ١٩٦٢م كان شارع البطحاء في الرياض سوقا للرقيق؟ وكانت تجارة البشر تتم بموجب رخصة تصدرها وزارة الداخلية للجلب والبيع، حتى صرخ "عبد الناصر" في القاهرة يعير "فيصل بن عبد العزيز" رئيس الوزراء وقتها باسترقاق عباد الله بينما يتكلمون بآيات الله، فصدر أمر وزاري بحظر التداول ثم بتحرير العبيد، خوفا من الرأي العام الدولي والأمريكي طبعا.

كنت أقف في شارع ثلاثين العليا في العاصمة السعودية حين سمعت المطوع[48] ينادي رجلا أسودا بعبارة "يا عبد" فتوقعت "خناقة" على أقل تقدير، غير أني فوجئت بالرجل يرد على المطوع بكل لطف، لأنه تربى على قبول هذا النداء، تذكرت الواقعة وتذكرت زيارتي لمنطقة عشوائية يسكنها عبيد القصور المحررين في الستينات حتى اليوم، "حِلّة العبيد"، هذا اسمها المتداول وإن تغير الاسم الرسمي إلى "الحلة"، وهي أفقر مناطق الرياض والمكان الوحيد في السعودية الذي ترى فيه

---

[47] وفقا لتعبيره
[48] الاسم الدارج لرجال الشرطة الدينية في العربية السعودية

صورا لعبد الناصر على الجدران، ويرحبون بك في محال المندي والفول لمجرد أنك مصري، لأن مصر كانت تعني لهم الحرية ذاتها.

هكذا كانت مصر وهكذا ستظل، ولسوف نحول بينهم وبين نفاذ مخططهم الإمبريالي المدعوم من خلف البحر والمحيط بدمائنا لو لزم الأمر، هذا عهدنا أمام الله وأمام أولادنا، لن نكون الجيل الذي ضيع مصر، وستبقى مصر مصدرة للنور لا مستوردة للظلام.

ضد الإخوان لا الإيمان

١٥ يونيو ٢٠١١م

أسس الأب "خوسماريه سكريفا" جماعة "أوبوس داي" الكاثوليكية المتطرفة عام ١٩٢٨م في أسبانيا، وتشكل الجماعة اليوم تنظيما دوليا له فروع ومقرات في أكثر من ٩٠ دولة حول العالم. تنظيم يتحالف مع اليمين المتطرف العالمي ويدير شركات ومؤسسات غسيل أموال، ويتدرج العضو في "أوبوس داي" في درجات من عضو مرشح لعضو أولي لعضو رقمي لعضو فوق رقمي، والطاعة شرط عين على كل الأعضاء، ففي كتابه "الطريق" يقول مؤسس الجماعة "أطع فإنك لا تطيع بشرا ولكنك تطيع الرب إلهك ذاته"، وأدبيات الجماعة حافلة بمنطق نحن المسيحية والمسيحية نحن.

التطرف أمة واحدة، تذكرت هذا وأنا أطالع آخر ما أتحفنا به السيد "صبحي صالح" إذ يقول أن الهجوم عليه هجوم على الإخوان، والهجوم على الإخوان هجوم على دعوة الإسلام، مكررا بذلك مضمونا صرح به نائب المرشد السيد "رشاد البيومي" الشهر الماضي تقريبا، ففي الحالتين كما في حالة القس "سكريفا" تجد الخلط بين الذات أو الجماعة، وبين العقيدة التي تضم تحت لوائها طيفا واسعا من الأفكار والتوجهات.

أما أن الهجوم عليه وغيره هجوم على فكر الإخوان وليس شخوصهم فنعم، وأما أن الهجوم على الإخوان هجوم على الإسلام أو دعوة الإسلام فألف لا، ولا يمكن لجماعة أن تمارس السياسة فإذا هاجمها أحد تمسحت بالدين والدعوة، فقد عرف القاصي والداني أن جماعة الإخوان فصيل سياسي وليست فصيلا دعويا، أو قل أنهم فصيل يوظف الدعوة والدين في السياسة، وليسوا فصيلا يخدم الدين

بالسياسة. أما سبب موقفنا القديم الجديد الرافض للإخوان فقد أوجزه السيد "صالح" وكفانا مشقة سرده، إذ نرفض أن يفرض علينا فرد أو جماعة قراءته للدين وفهمه الشخصي له، ويضفي على فكره البشري ثوب قداسة يستعلي بها على النقد، أو يجعل من نفسه رقيبا على خصوصية علاقتنا بالله تعالى، ويشق عن صدورنا فيصنفنا لأعداء الدين وأحباب الدين.

"الإخوان معتدلون" .. كلمة أشاعوها عن أنفسهم بين الناس، والحق أن بينهم معتدلين دينيا مثل الدكتور "عبد المنعم أبو الفتوح" والمهندس "أبو العلا ماضي" الإخواني سابقا، ولكن ما هو معيار التطرف والاعتدال؟ من هو المتطرف؟

كل من ظن أنه يمتلك الحقيقة المطلقة متطرف، وكل من ظن أنه يمثل الله أو دين الله بشخصه أو جماعته متطرف، فلا كهانة ولا قداسة في الإسلام لبشر، وكل يؤخذ منه ويرد عدا ساكن الروضة (ص)، وقد يسر الله دينه (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)، وفصل مجمله وفسر معانيه بسنة نبيه، ليستوي بعد ذلك المسلمون في النهل من معين الله إلى آخر الزمان، وكل مسلم مسئول عن أعماله مسئولية فردية كاملة مصداقا لقوله تعالى (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)، لا يحتاج مسلم لأن يقبل فصيلا سياسيا ذا صبغة دينية ليكون مع الإسلام أو دعوة الإسلام، ولا يضره أن يرفض هذا الفصيل. هذا هو ديننا وقرآننا.

رأي شخص أم منهج جماعة؟

٣٠ مايو ٢٠١١م

نشرت بوابة الوفد تصريحا للدكتور "عصام العريان" يدعي فيه أن خطاب "صبحى صالح" عن دولة الخلافة وزواج الإخوان بغيرهم، هي تصريحات شخصية تعبر عنه ولا تعبر عن الجماعة، فهل هذا صحيح؟ هل هذه المراهقة الفكرية رأي شخصي أم منهج ثابت وقديم في أدبيات الجماعة؟ تعالوا نطالع معا.

أما موضوع الخلافة، فكيف تنكر يا دكتور "عصام" الأساس الذي تكونت جماعتك من أجله؟ فمراحل المشروع الإخواني التي وضعها "حسن البنا" أربعة تنتهي بالخلافة، مرحلة الدعوة، ثم مرحلة تشكيل ودعم التنظيم، ثم مرحلة الدولة الإسلامية، ثم مرحلة الخلافة الإسلامية.[٤٩]

وتقول أن الإخوان يسألون فقط عما يقوله المرشد والمتحدث الإعلامي، جميل، نرجع لحوار مسجل للمرشد السابق "مهدي عاكف"، كان نصه:

المحاور: ألم تكن الخلافة العثمانية احتلالا والأتراك محتلون لمصر؟

مهدي عاكف: الخلافة كانت تحكم كلّ العالم العربي والإسلامي، الإسلام أمة واحدة، ما تقوليش بأة واحد مسلم جه يستعمرني.

المحاور: أنا شخصيا مختلف مع سيادتك، أنا اللي يحكمني مصري.

مهدي عاكف: يا حبيبي طظ في مصر واللي في مصر.

---

[٤٩] رسائل الامام الشهيد حسن البنا، الفكر السياسي للامام حسن البنا لغانم البيومي

على ماذا تلوم "صبحي صالح"؟ على الأقل لم يشتمنا جميعا كمرشدك السابق، وأذكرك أن المحكمة رفضت دعوى المحامين المقامة بحق مرشدك بهذا الصدد لأنها جاءت من غير جهة رسمية تمثل المصريين، فلماذا لم تقاض الحكومة وقتها مرشدك وهي حاملة الصفة القانونية؟ لأنه ببساطة كان حليفهم في انتخابات ٢٠٠٥ المزورة.

نأتي لموضوع زواج الإخوان من "مصريين". ختم المؤسس "حسن البنا" بيان "عقيدة الجماعة" الذي ألقاه في مؤتمرها العام في ١٩٣٥م[٥٠] بعبارة "وعلى كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام وإن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة"[٥١] وهو ما انتقده "عباس العقاد" في حينه. بهذا المنطق يكون كل مسلم لا يعتنق عقيدة الجماعة هو مسلم ناقص الإيمان، فما الغريب إذن في رفض "صبحي صالح" زواج الإخواني "كامل الدين" بغير الإخوانية "ناقصة الدين"؟

الحل يا دكتور "عصام" ليس مزاعم الهزار والآراء الشخصية، الحل هو مراجعة شاملة للفكر والمنهج، حذار من الاستخفاف بعقل الجماهير، فالمصريون أكثر ذكاء على أريحيتهم وبساطتهم مما تتصورون.

---

[٥٠] ورد التاريخ خطأ بعام ١٩٣٧ بدلا من ١٩٣٥ في كتابين هما "الحركة السياسية في مصر" للدكتور طارق البشري و"صفحات من تاريخ الإخوان" للدكتور رفعت السعيد، والصحيح هو ١٩٣٥ حيث كان المؤتمر الرابع عام ١٩٣٧ ولم يختص بمناقشة وثيقة عقيدة الجماعة

[٥١] كتاب مذكرات الدعوة والداعية للأستاذ حسن البنا

الإخوان والسلطان

تاريخ من الغزل السياسي

٢٩ مايو ٢٠١١م[٥٢]

يعتقد البعض أن موقف الإخوان المسلمين الموالي على طول الخط للحكومة والمجلس العسكري يعد تغيرا في الخطاب السياسي للجماعة، والحق أن لهم تاريخا طويلا من الغزل الصريح للحكام، ولأنهم يقولون للناس "اسمعوا منا" فسنكتفي بعرض كلامهم ومواقفهم التاريخية الموثقة ليحكم أولي الألباب.

في ١٩٣٣م: في خطاب مفتوح نشر بجريدة الإخوان، يناشد المؤسس والمرشد العام "حسن البنا" الملك "فؤاد" منع البعثات التبشيرية، ويصفه بالملك الرشيد، ويختم خطابه بقوله "لازلتم للإسلام ذخرا وللمسلمين حصنا"[٥٣]. كما وصفه المرشد في مقال لاحق بأنه "كان مثلا يحتذى في التمسك بعقيدته الإسلامية"[٥٤].. والملك فؤاد غني عن التعريف بحقيقته.

في ١٩٧٣م: بينما كان المصريون يهتفون لفاروق "ويكا يا ويكا هات أمك من أمريكا" تنديدا بالسلوك المستهتر للأسرة المالكة ممثلة في "نازلي" وولدها كان "البنا" يكتب مقالا عن الملك فيصفه بأنه "ضم القرآن إلى قلبه ومزج به روحه"، وأن صلاح المسلمين في كل الأرض سيكون على يديه "وأكبر الظن أن الأمنية الفاضلة ستصير حقيقة ماثلة، وأن الله قد اختار لهذه الهداية العامة الفاروق، فعلى

---

[٥٢] نشر المقال في مجلة حريتي، عدد يونيو ٢٠١١م
[٥٣] جريدة "الإخوان المسلمون" في عددها الصادر في ١٩٣٣/٥/١٨م
[٥٤] مقال "مات الملك يحيا الملك" – جريدة "الإخوان المسلمون" في عددها الصادر في ١٩٣٦/٥/١٥م

بركة الله يا جلالة الملك ومن ورائك أخلص جنودك"[٥٥]، لاحظ تسميته بالفاروق تشبيها بالفاروق "عمر" رضي الله عنه. في نفس العام طالب "مصطفى النحاس" بالحد من نفوذ الملك غير الدستوري على مؤسسات الدولة، وخرجت جموع المصريين تهتف "الشعب مع النحاس"، فخرجت مظاهرات إخوانية تهتف "الله مع الملك"[٥٦]، وياله من هتاف يصنع طاغوتا بذاته.

في ١٩٣٨م: الشيخ "حسن البنا" يصف فاروق بأمير المؤمنين مباشرة في مقال بعنوان "الفاروق يحيي سنة الخلفاء الراشدين"[٥٧] مكررا التشبيه بالفاروق عمر ضمنيا.

في ١٩٤٦م: جاء "إسماعيل صدقي" صديق بريطانيا للوزارة رغم أنف الحركة الوطنية، فهو الرجل الذي قتل الطلاب بالرصاص في مظاهرات ١٩٣٠م واشتهر بصداقته للصهاينة وعلاقته ببلفور شخصيا، فوقف القيادي الطلابي الإخواني "مصطفى مؤمن" في جامعة القاهرة في مؤتمر تأييد لصدقي يتلو الآية الكريمة "واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد، وكان رسولا نبيا"[٥٨]، صدق الله العظيم وكذب من وضع الآية في غير موضعها.

في ١٩٥٢م: قبيل الثورة والبلاد تغلي، زار المرشد "حسن الهضيبي" الملك الذي قتل حرسه الحديدي مؤسس الجماعة، زاره مؤكدا ولاء الجماعة وبعدها عن كل القوى الثورية المناهضة له كما جاء في توقيعه في سجل التشريفات بتاريخ ١٩٥٢/٥/٢٥م بعبارته "نرفع فروض الولاء للملك المفدى ونستنكر الصيحات التي تعالت ضد أعتابكم السامية، ونؤكد بعد الإخوان المسلمين كل البعد عنها"[٥٩]

---

[٥٥] مقال "حامي المصحف" - جريدة "الإخوان المسلمون" في عددها الصادر في ١٩٣٧/٢/٩م
[٥٦] الأهرام في عدد ٢٢ ديسمبر ١٩٣٧م
[٥٧] مجلة النذير العدد ٢٤ في مايو ١٩٣٨م
[٥٨] سنوات الغضب: صبري أبو المجد، وكتاب صفحات من تاريخ الإخوان لرفعت السعيد
[٥٩] صورة سجل التشريفات المنشورة في جريدة الجمهورية في عددها الصادر في ٨/ ٩/ ١٩٥٤م، والمنشورة في كتاب "فاروق وسقوط الملكية في مصر"، الدكتورة لطيفة الزيات

.. هذا هو الفصيل الذي ادعى أن ثورة يوليو كانت ثورته. لعل هذا يبرر تصريحات قادة الجماعة بعدم التظاهر في ٢٥ يناير ثم ادعاء أنهم كانوا وقود الثورة بعد نجاحها. نفس المنهج لا يحيدون عنه قيد شعرة.

في ١٩٧١م: شهر عسل جديد بين الإخوان والسلطة ممثلة في "السادات" وبوساطة من "فيصل بن عبد العزيز" بعد لقاء قيادات الخارج برئاسة "سعيد رمضان" وقيادات الداخل برئاسة "عمر التلمساني" في استراحة جناكليس[٦٠]، والتي أوجز "التلمساني" فحواها ولخص علاقتهم بالسادات بقوله "تقدم مني الكلام عن موقف السادات من الإخوان المسلمين، قلت إنه أخرج الإخوان من المعتقلات، وأنه ترك لهم جانبا كبيرا من الحرية في التنقل وإقامة الاحتفالات الإخوانية في المناسبات الدينية، وقد استقبل الإخوان كل ذلك بالحمد والثناء"[٦١]، هكذا رأوا عصر "السادات"، وهم من يدعون اليوم أنهم اضطدوا منذ ثورة يوليو.

في ١٩٨٧م: بايع "مأمون الهضيبي" ومعه أعضاء مجلس الشعب عن الإخوان الرئيس المخلوع "مبارك" في محاولة للتقرب من النظام وسجلت المبايعة في مضبطة الجلسة[٦٢]

في ٢٠٠٤م: المرشد "مهدي عاكف" في برقية لمبارك خلال رحلة علاجه الأولى بألمانيا "في هذا الوقت الذي تواجه فيه مصرُ وأمتُنا العربيةُ والإسلاميةُ تحدياتٍ كبيرةً تستهدف أمنَها واستقرارها وسلامتها، والتي تحتاج إلى يقظةٍ وانتباهٍ وتضافرِ جميع القوى وتكاتفِ كلِّ الجهودِ، نسألُ اللهَ تعالى أن يمنَّ على سيادتِكم بالشفاءِ العاجل، وأن يُتمَّ عليكم نعمةَ الصحةِ والعافيةِ، وأن تعودوا إلى مصر وأنتم في خيرِ حال، وأن يهيِّئ اللهُ لكُم ولمصرَ وللأمةِ العربيةِ والإسلاميةِ السلامةَ من كل سوء..

---

[٦٠] محمد حسنين هيكل، خريف الغضب
[٦١] عمر التلمساني في كتابه ذكريات لا مذكرات
[٦٢] التاريخ الوارد في بيان جبهة علماء الأزهر وهو ١٩٨٥ يعارض ما لدينا من مصادر تقول أن البيعة تمت في ١٩٨٧م

مع قبول وافر التحيةِ وفائق الاحترام"[٦٣] ولا يقولن قائل أن هذا نبل. من الإسلام عدم التشفي في مرض ولكن ليس منه اتخاذ المرض وسيلة للتقرب من السلطان. وما كانت علاقة مبارك ونظامه باليقظة ومواجهة التحديات؟

في ٢٠٠٥م: أعلن المرشد العام "مهدي عاكف" تأييد الجماعة لترشيح "مبارك" لولاية جديدة وتمنى أن يلتقي به ويتحدث معه في حوار له مع مجلة آخر ساعة[٦٤]

في ٢٠٠٩م: المرشد "مهدي عاكف" يعلق على ترشيح "جمال مبارك" بأن عليه أن يترك قصر والده لو قرر ترشيح نفسه للرئاسة[٦٥]، يعني مفيش مشكلة في المبدأ، وإن كان موقفهم تغير بعد انتخابات ٢٠١٠م والكتف غير القانوني الذي وجه لهم فيها، فقال المرشد السابق أن ترشيحه مرفوض بالثلاثة.

في ٢٠١٠م: المرشد العام الدكتور "محمد بديع" في برنامج العاشرة مساء يقول "مبارك أب لكل المصريين والمصريين عاوزين حقهم من أبوهم"[٦٦] في كلمة صادمة للرأي العام وقتها.

هذا غيض من فيض النفاق والتلون السياسي للجماعة.

---

[٦٣] موقع إخوان أونلاين في ٢٠٠٤/٦/٢٤
[٦٤] آخر ساعة ٢٠٠٥/٧/٢٠م
[٦٥] جريدة البشاير في عدد ٢٠٠٩/٤/١٠م
[٦٦] برنامج العاشرة مساء، الأربعاء ٢٠١٠/٤/١٤م

جمعة الحقيقة

٢٨ مايو ٢٠١١م[٦٧]

مرة أخرى يثبت المصريون أن وعيهم الكامن يفوق توقعاتنا، فبرغم الدعاية المضادة في وسائل الإعلام، وبرغم تصريح القوات المسلحة بعدم حمايتها للمتظاهرين، وبرغم مقاطعة الإخوان واتهامهم لمن يتظاهر بأنه ضد الشعب وضد الشرعية، وبرغم مقاطعة السلفيين وتشنيعهم، وبرغم مؤتمر الإخوان في شبرا وحائط صدهم في الإسكندرية، وبرغم قيظ مايو، خرج المصريون بمئات الآلاف في القاهرة والإسكندرية والإسماعيلية وبورسعيد والسويس ومحافظات الدلتا، ونظم الناشطون اليوم بإحكام وسلاسة، وبغير أن يدعوا أنهم حماة الثورة، وصلى آلاف الثوار "الكفار" الجمعة، وجادت السماء عند العصر برذاذ بارد في ظاهرة نبهني صديق لتكرارها، لم تفرق السماء بين مسلم وقبطي خرجوا لحماية ثورتهم في اتحاد حقيقي وليس مرحلي. في مجمله كان اليوم عرسا جديدا للديمقراطية .. وللحقيقة.

قدم الإخوان أنفسهم للمجلس العسكري وللأمريكان على أنهم الثورة والثورة هم، فأثبت المصريون اليوم أن الإخوان مجرد فصيل سياسي شارك فيها متأخرا. ادعوا أنهم وحدهم القادرون على الحشد، فأثبت المصريون أنهم يحتشدون مع من يقنعهم بعدالة مطالبه. ادعوا أنهم حموا الثورة ونظموها ولولاهم لضاعت، فأثبت المصريون أنهم حماة ثورتهم. ادعوا أن الليبراليين يقصونهم فأثبتت الجماهير أنهم يقصون أنفسهم. قاطعوا وكان هذا خيارهم دائما من ٦ أبريل ٢٠٠٨ إلى ٦ أبريل ٢٠١٠ إلى ٢٥ يناير ذاته، لكنهم في كل مرة كانوا يتركون الباب "مواربا"، فلا يهاجمون المشاركين بوضوح ومباشرة مثلما تورطوا هذه المرة. ولا

---

[٦٧] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٢ يونيو ٢٠١١م

يقولن قائل أن بعض شباهم حضروا اليوم، فربما حضرت كذلك بعض عناصر الحزب الوطني المنحل، لكن هذا لا يعني أن الحزب الوطني شارك.

ومثلهم قدم السلفيون أنفسهم للحكومة والمجلس على أهم أصحاب الفضل في "نعم" الاستفتاء و"غزوة الصناديق"، والحقيقة أن "نعم" نتجت عن "جزرة الاستقرار" وثقة الشعب في قواته المسلحة وليس فيهم، فقد فعلوا في الأيام الماضية ما فعلوه أيام الاستفتاء، فاهموا الثوار بالكفر والإلحاد، وأطلقوا المركبات محملة بالملصقات ومكبرات الصوت تهاجم الشيوعيين والملحدين والعلمانيين، وعقدوا دروسهم بعد صلاة العشاء في المساجد لعدة أيام لنفس الغرض، فلم ينطلِ الإفك على الناس.

حاول هؤلاء وأولئك تصوير اليوم بأنه تثوير ضد المجلس العسكري وضد الشرعية، ونفخوا في كلام فردي حول مجلس رئاسي، فعلت حناجر الثوار في كل مصر بمطالب وجهتها للملجس معترفة بشرعيته، وعلت بالهتاف ضدهم لأنهم وحدهم من حاول بكلامه الوقيعة بين الجيش والجماهير وكافة الأطياف السياسية لخدمة أغراضه، لا لوجه الله ولا لوجه الوطن.

لكل هذا نقول أن ٢٧ مايو كان جمعة الحقيقة، حقيقة نثق أن المجلس العسكري سيجيد قراءها، ويستجيب لمشروعية مطالبها الوطنية التي لا تخدم فصيلا ولا جماعة ولكن وطنا بأكمله، وتضع مباديء ثورة شارك فيها المصريون بكل أطيافهم وطوائفهم، ودعموا اليوم حقيقتها.

الزجاج المكسور

تقسيم الدول في ذاكرة العالم

٢٤ مايو ٢٠١١م

يونيو القادم هو الشهر الأخير في عمر السودان كما عرفناه، فاعتبارا من ٩ يوليو ٢٠١١م يتم التقسيم، وتعلن جمهورية جنوب السودان وعاصمتها جوبا، مستقلة عن الشمال وعاصمته الخرطوم، والسؤال الحتمي هنا: ما هي الخطايا السياسية والاجتماعية التي تؤدي ببلد لفقد وحدته والنهاية المؤلمة بقطع أوصاله وتقسيم أراضيه؟ دروس من التاريخ نحتاج لاستعادتها لعلنا نعتبر ونفهم أن منطق "الغزوات" الانتخابية، واستقواء الأغلبية الطائفية أو العرقية في فرض هويتها على الآخر قد تكلف الوطن وجوده نفسه.

تقسيم السودان

يتوهم البعض أن التقسيم يحدث فقط في البلاد ذات التركيبة الطائفية أو العرقية المتكافئة عدديا (كأنها خناقة)، والنموذج الأوضح في تفنيد زعمهم هو النموذج السوداني، حيث نسبة المسيحيين فيه ٥% من تعداد السكان مقابل ٢٠% للأديان المحلية و٧٥% أغلبية مسلمة. مع ذلك قامت الأقلية المسيحية بالدور الأكبر في تقسيمه، فبعدما حصل الشعب السوداني على حق تقرير مصيره وانفصاله عن مصر في ١٩٥٤م مباشرة، وقبل أن يتم الاستقلال عمليا، بدأت الحرب الأهلية الأولى ودامت ١٧ عاما حتى وقع "النميري" اتفاقية أديس آبابا مع الجنوبيين في ١٩٧٢م برعاية مجلس الكنائس العالمي، وظهرت منطقة الحكم الذاتي في الجنوب. لكن السلام انتهى وعادت الحرب الأهلية في ١٩٨٣م حين قرر "النميري" تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان بأكمله، فبدأت أمريكا تضع أنفها

في القضية. تم تدويل القضية وظهرت قوات الأمم المتحدة في السودان، وزاد الأمر سوءا مع وصول "عمر البشير" وجبهة الإنقاذ الإسلامية للسلطة، وتصاعد الصراع والتدويل حتى تم استفتاء الجنوبيين "وحدهم" على تقرير مصيرهم وفقا للقانون الدولي، فقرر حوالي ٩٩% من الجنوبيين الانفصال الذي سينفذ في غضون خمسين يوما بقوة الأمم المتحدة، وبعد حروب راح ضحيتها قرابة المليون نسمة، ومن المتوقع استمرارها حتى يتم تقرير مصير إقليم "آبي" البترولي المتنازع عليه.

كردستان العراق

تأججت الاحتجاجات الكردية مع وصول البعث للسلطة عام ١٩٦٨م ومحاولته فرض الصبغة العربية على المناطق الكردية شمال العراق، بزعم أن الأقلية الكردية (١٥%) وغيرها من الأقليات (٥%) لابد أن تقبل بطمس هويتها لصالح هوية الأغلبية العربية (٨٠%)، وكانت حجة الكرد القوية أن دستور البلاد لا يمثلهم ونظامها لا يحترم خصوصيتهم، ومن حقهم وفقا للقوانين الدولية تقرير مصيرهم، وتفاقم الأمر حتى أدى لتدخل الاتحاد السوفيتي لحماية الأقلية الكردية وفرض على نظام "أحمد حسن البكر" اتفاقية الحكم الذاتي عام ١٩٧٠م، وبعد كل محاولة لطمس الهوية من يومها وحتى انهيار نظام "صدام حسين" في ٢٠٠٣م كانت المقاومة الكردية القوية تؤدي لمزيد من استقلالية كردستان بتضحيات بشرية كبيرة، وتم استفتاء الشعب الكردي على تقرير مصيره باستفتاء شعبي كذلك في ٢٠٠٥م فقرر بنسبة ٩٨% الانفصال عن العراق، ويتوقع محللون سياسيون انفصال كردستان في ٢٠١٦م رسميا.

تقسيم الهند

يتوهم البعض كذلك أن التمايز الجغرافي شرط لتقسيم بلد من البلاد على أساس عرقي أو ديني، والنموذج الهندي يكذب هذه المزاعم، حيث لم تكن شبه

القارة الهندية في ١٩٤٧م متمايزة إلى مناطق مسلمة ومناطق هندوسية محددة، لهذا تم سلخ الشعب سلخا من بعضه بالترحيل أثناء التقسيم، وتمت أكبر عملية تهجير في التاريخ الحديث بنقل قرابة العشرين مليون ما بين مسلم وهندوسي ليتم التقسيم، فراح ضحية عملية التهجير وما جرى خلالها من احتكاكات قرابة النصف مليون نسمة، وصارت الهند بلدين متصارعين يستنفذان طاقتهما في الصراع بين أبناء الشعب الواحد كما أراد المستعمر قبل رحيله.

وبعد .. تقسيم وتفتيت الشعوب يخدم قوى دولية في مقدمتها الولايات المتحدة واليمين المتطرف العالمي عموما، حتى يظل الجميع بحاجة إليهم للدعم الاقتصادي والعسكري، فمن التالي؟

هناك وهم بشري عريق اسمه "هذه الأمور لا تحدث لي" .. نحن مختلفون .. مصر مختلفة عن تونس .. ليبيا ليست مصر .. سوريا ليست ليبيا، والحقيقة أن لكل شعب ولكل بلد خصوصيته، ومع ذلك تتشابه النتائج عبر التاريخ والجغرافيا، عبر الزمان والمكان، حين تتشابه المقدمات والعوامل.

حفظ الله مصر من كيد الأعداء .. وحماقة بعض الأبناء.

لسنا آلهة لنعفو

٢١ مايو ٢٠١١م

"كليب حيا"

هكذا أجاب "المهلهل بن ربيعة" الشهير بالزير سالم من أتوه مفاوضين في دم أخيه "كليب"، يسألونه ماذا تريد لتعفو؟ وبهذا ينبغي أن نجيب الأصوات والأقلام التي تحدثت عن العفو عن "مبارك" وأسرته لأن العفو من شيم الكرام ومن صفات المؤمن، وتلك التي تحدثت عن صورتنا الحضارية أمام العالم، حتى نفى المجلس العسكري والحمد لله أي توجه للعفو عن الرئيس المخلوع بالرغم من إخلاء سبيل زوجته الذي ساعد على البلبلة. وأنا أصدق المجلس العسكري في هذا لأنك لا تحتاج لجس نبض لتعرف أن غالبية المصريين مهما بلغت طيبتهم سيرفضون هذا العبث. ولهذا أيضا لن يستخدم المجلس العسكري سلطة العفو حين يصدر القضاء حكمه على "مبارك" وإن كانت نصوص الدستور المعدل تخول له هذه السلطة، لأن العفو هنا معناه ثورة جديدة لا تحتملها مصر شعبا ولا جيشا.

وللمتحدثين عن العفو عند المقدرة أقول: لسنا آلهة لنعفو، فالله وحده يملك العفو عمن شارك في قتل الآلاف، والله وحده يملك العفو عمن جوع الملايين وهو ينهب قوتهم ويدير دفة اقتصاد الدولة ليضاعف ثروة أسرته، وعمن أذل شعبه حتى استهان به الصديق وطمع فيه العدو، وعمن أدار ملفات الأمن القومي في مياه النيل والوحدة الوطنية والصراع العربي الصهيوني فضيعها جميعا، الله وحده يملك العفو عنه، فإن عفا كل حي في مصر اليوم، فمن يعفو باسم الأجيال التي فنت عبر ثلاثين عاما من حكمه؟ ومن يعفو باسم الأجيال القادمة؟

ولمدعي الخوف على صورتنا أمام العالم أقول: اطمئنوا، فللعالم تراث متصل من القصاص الرادع فضلا عن الانتقام البشع أحيانا، ففي ١٩٤٥م أعدم الإيطاليون "موسوليني" رميا بالرصاص ثم نقلوه للميدان الذي تعود أن يشنق فيه ضحاياه، فشنقوا جثمانه من رجليه وأوسعته الجماهير رجما بالحجارة. لم تكن الواقعة استثناء، فقبلها في ١٦٦١م أخرج الملكيون في بريطانيا جثمان الثائر الجمهوري "أوليفر كروموبل" من قبره بعد عامين من وفاته وشنقوا رفاته انتقاما لقتله الملك "شارل الأول" قبلها بسنوات، والفارق الكبير أن "كروموبل" كان ثائرا قتل طاغية، أما "موسوليني" و"مبارك" فطغاة قتل ثوارا.

لا تخافوا على صورة مصر أمام العالم يا سادة، فنحن لا نطلب غير محاكمة عادلة وقصاص يسطر في تاريخ مصر ردعا لكل حاكم بعد "مبارك"، حتى لا يسقط فيما سقط فيه، "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" صدق الله العظيم.

حدث في الجزائر

٢٢ أبريل ٢٠١١م

بدأت محاولات التيار السلفي في الجزائر فرض صبغته على المجتمع منذ عام ١٩٧٩م، وظهرت أحداث حرق محال الخمور والتحرش بالسيدات غير المحجبات في شوارع الريف والمدن الصغرى مثل قسنطينة وغيرها عام ١٩٨٢م، بينما كان هناك تيار إسلامي يظهر بصورة معتدلة نسبيا ويشجب العنف فيكتسب أتباعا في الشارع. ثم جاءت أزمة انخفاض أسعار النفط العالمية لأقل من النصف في عام ١٩٨٦ لتزيد من إرهاق الاقتصاد الجزائري، فتحللت الحكومة من التزاماتها الاشتراكية نحو المواطنين تدريجيا، وهو ما أطلق انتفاضة الشعب الجزائري بكل طوائفه عام ١٩٨٨م، وعلى إثرها عدل "الشاذلي بن جديد" قانون الأحزاب ليسمح بالتعددية، وتكونت أحزاب كان أكثرها رواجا بين السكان العرب حزب "الجبهة الإسلامية للإنقاذ"، والمكون من عدة تيارات إسلامية غير متجانسة فكريا، وذلك بفضل وجود التيار بصورة غير رسمية في الشارع قبل تحوله لحزب رسمي بسنوات، وكان زعيمه الأول "عباس مدني" المقاتل القومي السابق زعيما معتدلا مقارنة بنموذج "علي بلحاج" الذي مثل التيار السلفي في الجبهة، والذي يتبنى المنهج الوهابي المُسَعْوَد في إنكار الديمقراطية والتعددية وحقوق المرأة وغيرها.

عدل "الشاذلي" ذو الشعبية المحدودة الدوائر الانتخابية لخدمة جبهة التحرير التي يقودها، فزاد هذا من التفاف المواطنين عنادا حول جبهة الإنقاذ، وجرت الانتخابات البرلمانية في ١٩٩٢م فأظهرت المرحلة الأولى أن الجبهة ستتفوق باكتساح، وهنا تحرك الجيش وأجهض الانتخابات وألغى نتائج المرحلة الأولى وعزل "الشاذلي بن جديد"، وشكل مجلسا رئاسيا لقيادة البلاد بقيادة أحد رموز النضال الوطني وهو "محمد بوضياف"، الذي استعان به الجيش فجاء من المغرب

لهذا الغرض بعد أن سافر إليها لخلافه مع النظام السابق، وكانت الكلمة العليا داخل المجلس الرئاسي للجنرال "خالد نزار" لأنه يملك ولاء الجيش وهو الذراع التنفيذي الأكثر قدرة وفعالية.

بدأ العنف في الجزائر حين بدأت جبهة الإنقاذ في تكوين ميليشيات خاصة بها في جبال شمال الجزائر تحت اسم جيش الإنقاذ الإسلامي ردا على إجهاض الانتخابات وحل الجبهة من قبل الجيش، وكان الرصاص أول الأمر متبادلا بين ميليشيا الإنقاذ وعناصر الجيش والشرطة، حتى حدث اغتيال "بوضياف" على يد حارسه الذي كان على اتصال بالجبهة، وتبادلت الجبهة والجيش الاتهامات حول اغتياله، فاندلع العنف واتسع لحد الجنون، فلم تكن الجزائر خلال العشرية السوداء (١٩٩٢-٢٠٠٢) مسرحا لحرب أهلية بين الجيش الجزائري وجيش الإنقاذ الإسلامي وحسب، فالعنف يغري بالعنف والدماء تنادي الدماء، لهذا ظهرت ميليشيات عديدة:

١. ميليشيا الجماعة الإسلامية المسلحة، والتي كانت الأكثر خطرا وتطرفا في توجهها الوهابي فأعلنت الخلافة الإسلامية في الجزائر في عام ١٩٩٤ ونصبت أميرا للمؤمنين، وبدأت استهداف المدنيين من مناهضي التيار الإسلامي، وتورطت في العديد من مذابح القرى والمناطق النائية.

٢. ميليشيا جيش الإنقاذ الإسلامي بقيادة "مدني مرزاق" ولم يكن لها دور في المذابح المدنية على أغلب الأقوال.

٣. ميليشيا التكفير والهجرة التي استلهمت أفكار "شكري مصطفى" من مصر.

٤. ميليشيا مدنية شعبية هي منظمة الشباب الجزائري الحر مثلت التيار اليساري المسلح لمواجهة الجماعة الإسلامية.

٥. ميليشيا حكومية كونها "الأمين زروال" من المواطنين وسلحها الجيش للدفاع عن القرى والمناطق النائية ضد هجمات المسلحين، وكان لها الدور البارز في كسر شوكة ميليشيا الجماعة الإسلامية لأن الجيش النظامي لا ينجح عادة في حرب العصابات.

في مرحلة لاحقة، ومع قدوم الرئيس "بوتفليقة"، بدأت الحكومة والجيش سياسة تهدئة مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ، فجن جنون الجماعة الإسلامية وأخذت تستهدف عناصر الجبهة والقرى الموالية لها، وحدثت مذابح بن طلحة وبني علي وجليزان وغيرها، بينما كانت هناك مذابح أخرى توجهت أصابع الاتهام فيها نحو الجيش لأنها حدثت في قرى موالية لميليشيا الجماعة الإسلامية، والمحصلة كانت ١٠٠إلى ١٥٠ ألف قتيل فضلا عن الجرحى والمشوهين وحالات السبي والاغتصاب وما تبعها من ظاهرة أطفال الشوارع في جريمة بشعة ضد الإنسانية.

استمر الرئيس الجديد "بوتفليقة" في سياسة التهدئة واحتواء الجبهة الإسلامية للإنقاذ حتى نزعت الجبهة سلاحها عام ٢٠٠٠ طوعا، ولكن لم تهدأ وتيرة العنف إلا بعد قتل زعيم الجماعة الإسلامية في أحد المعارك عام ٢٠٠٢ ليكون قتله إيذانا بنهاية العشر سنوات الأكثر سوادا في تاريخ الجزائر، كل هذا حدث في مجتمع متجانس دينيا إلى حد بعيد مثل الجزائر يبلغ فيه المسلمون ٩٩% من إجمالي السكان، فما الذي يمكن أن يؤدي إليه التهور السياسي والحمق الطائفي والتطرف الديني في مجتمعات أقل تجانسا في المشرق العربي؟

الوعي هو الحل.

هكذا تحدث جيفارا

٢٢ أبريل ٢٠١١م

التجربة الثورية الغنية التي عاشها ومات من أجلها "جيفارا" تجعل كلماته علامات على الطريق، تلهم وتواسي وتنذر، إليكم مجرد ترجمة مبسطة لعبارات الرمز الثوري الخالد، أرانا نحتاجها اليوم بشدة، لنرد على بعض الدعاوى الغبية الرائجة

"الثورات يلهمها العقلاء والمفكرون، ويقوم بها الشجعان، ويضحي فيها الأبطال، ويجني ثمارها الجبناء والأدعياء"، هكذا ألهمت ثورتنا الأقلام والأصوات الحرة من "المسيري" لعبد الحليم قنديل لإبراهيم عيسى لجميلة إسماعيل وغيرهم كثير، وقام بها الشباب الشجاع، وضحى فيها الشهداء والمصابون، وجنى ثمارها الإخوان والسلفيون.

"الثورات تعيش في القلوب المستعدة للموت من أجلها، وليس في الألسنة التي تتحدث عنها"، لهذا عاشت الثورة في قلوب الشباب ولم يبق منها غير طنطنة ثورية على ألسنة المدعين.

"لو لم تنجح الثورة في الوصول لعمق الجماهير، في هز أعماقهم، ومنحهم صفاتا تليق بإنسان، فما جدواها؟"، لهذا ولهذا وحده ضلت ثورتنا، لأنها كانت ثورة الشجعان الذين ظنوا أن بوسعهم الاستغناء عن الجماهير، وظنت الجماهير أن بوسعها القفز على الثورة والاستمرار في الحياة بنفس الأخلاق السابقة.

"الثورة الحقيقية تنتهي بالنصر الكامل للثوار أو بموتهم"، تلك العبارة ترسم المصير النهائي لنا ولثورتنا، إما النصر الكامل أو الموت.

"الثائر يحتاج لدعم الجماهير، هذا أول شرط للنجاح" لا يحتاج قطعا لأن يطلق عليها اسم "حزب الكنبة" ويتهكم عليها.

"سنرحب بالموت حين يأتي طالما هناك أذن واحدة سمعت صرختنا ويد واحدة تمتد لتلتقط سلاحنا" وهذا ردنا على من يهولون علينا بكثرة عددهم وعدقم.

"الكراهية سلاح ضروري حين تواجه عدوا مجرما" وهذا ردنا على من يقول أنه ينبغي لنا أن نشفق على سارقي الثورة من أنفسهم، الكراهية هنا حق وواجب.

"قبل الديمقراطية يجب أن تسيطر على هيمنة رأس المال وعلى همجية المتطرفين والعنصريين، فالديمقراطية لا تعيش بوجود هذه الأمراض" لهذا تثمر الديمقراطية في بلادنا ثمارا مشوهة، الديمقراطية ليست صندوقا طالما بقي الصندوق تحت سلطة رأسالمال وفكر التطرف والعنصرية.

"حياة إنسان واحد لا تعوضها ثروات الأرض" هذا رد الثائر الأسطوري على من ينوون بيع دماء الشهداء بالدية أو بغيرها.

"لنكن واقعيين ونطلب المستحيل، فالمستحيلات تحدث أحيانا" نعم .. وواقعية "الواقعين" آخر ما تحتاجه مصر اليوم.

"شبابنا ينبغي أن يظل حرا يناقش ويجادل بلا قيود ليصل للحقيقة" وتلك عبارة تحتاج إلى تمجيد لا تعليق.

فزاعة الإباحية

١٨ أبريل ٢٠١١م[٦٨]

خدعة كبرى أسست عليها تيارات الإسلام السياسي خطاها الجماهيري، لو جيت تتكلم عن ضرورة الدولة المدنية (وهي أساس كل الدول التي أفلحت على مر التاريخ بما فيه التاريخ الإسلامي) تلاقي اللي يقولك "اللي مش عايز دولة دينية يعني عايز إباحية وعري وزواج شواذ ودعارة رسمية"، وده خداع وتضليل للجماهير، ليه؟

لأنه في الدولة دي الجماهير بتختار النائب البرلماني اللي يعبر عن رأيها ومعتقداها وأفكارها، وبتحاسبه على مدى صدقه في تمثيل توجهاها دي، يعني مستحيل نائب منتخب من شعب عنده دين وقيم هيوافق على قانون لزواج الشواذ أو تقنين الدعارة، لأن الناخبين هيسقطوه فورا في الدورة التالية وهيبقى انتحر سياسيا، يعني الدولة المدنية والديمقراطية زي ورق النشاف، تصبغ بلون الحبر الذي توضع عليه، علشان كدة دولة مدنية في مجتمع قيمي متدين هتراعي تلقائيا كل عقائد وتقاليد وأعراف المجتمع.

طيب .. لو الأمر كدة، ليه بنرفض الدولة الدينية في مصر؟

نحن نرحب بمجتمع متدين ونرفض دولة دينية، علشان دولة دينية مش معناها مجتمع قيمي متدين، ولكن معناها إن فصيل معين، يتبنى قراءة معينة للدين – غالبا قراءة متطرفة – يحاول فرضها على رقاب الناس، زي تجارب السعودية الوهابية وإيران الشيعية وأفغانستان السلفية، وكل فصيل طبعا يرى نفسه الحق وكل

---

[٦٨] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ٢١ أبريل ٢٠١١م

الآخرين باطل. بكدة، ومن خلال القراءة الواحدة للدين، الدولة الدينية مش بس بتحرمك من حقوقك المدنية، لكنها كمان بتحرمك من فهم دينك فهما يناسب عقليتك وخلفيتك المعرفية، وتفرض عليك فهما معينا ومفاهيم سابقة التجهيز، يعني بتحرمك من أن تكون أدرى بشئون دنياك (الحقوق المدنية) وأن تستفت قلبك (فهمك وقراءتك لدينك) كما نصت الأحاديث الشريفة.

في النهاية أنا مش قلقان على المدى الطويل، فالدولة المدنية التي تحترم الأديان وتقدر العمق الديني للمواطن هي محطة الوصول النهائية لمصر، والانتخابات الطلابية في مجمل جامعات مصر هي الدليل نظرا للمستوى الثقافي النسبي المرتفع، لكن أي سنين نفقدها في تجارب فاشلة وما يتبعها من هجرة عقول وكفاءات مصر، ومخاطر انقسام المجتمع، هي آخر ما نحتاجه لمصر الثورة.

مدنية ولا دينية ولا ميكس

٢٢ مارس ٢٠١١م

نقول: مصر مدنية، ويقول السلفيون: بل مصر إسلامية، ويقول الإخوان: مدنية بمرجعية دينية (عروستي؟)، وتسود عبارة لم تختبر "مش احنا أغلبية؟ ولو احتكمنا للصندوق هنعمل اللي احنا عاوزينه؟[٦٩] ليه متبقاش مصر دولة إسلامية زي باكستان أو السعودية أو إيران؟"

أقولكم ليه ماينفعش، تعالوا نرى معا الدول الإسلامية على مستوى العالم، تركيبتها السكانية عاملة إزاي، وإيه ظروف تكوينها ووضعها الحالي، ونقارن ده بأحوالنا في مصر، وبما نريده لمصر.

الدول الإسلامية السبع

العالم فيه ٧ دول إسلامية:

١. المملكة العربية السعودية: مملكة إسلامية، ١٠٠% مسلمين، والإسلام على المذهب الوهابي السلفي هو أساس السيطرة على المملكة، بناء على الاتفاق التاريخي بين آل سعود وآل الشيخ، ومالهاش دستور من أصله.

٢. جمهورية باكستان الإسلامية: ٩٨% مسلمين، وتأسست على أساسا ديني لأنها كانت جزء من الهند وانفصلت عنها علشان الاختلاف الديني مع الأغلبية الهندوسية، ودستورها إسلامي منذ ١٩٥٦م.

٣. جمهورية إيران الإسلامية: ٩٨% مسلمين، جمهورية مؤسسة على ثورة قادها رجال الدين الشيعة بقيادة آية الله الخميني سنة ١٩٧٩م بالتعاون مع اليسار

---

[٦٩] راجع تصريحات عصام العريان في حوار تليفزيوني بهذا الصدد

الوطني، وتلاها إقصاء شركاء الثورة ودس مبدأ ولاية الفقيه في دستور الدولة، وما ترتب عليه من عزل دولي.

٤. جمهورية أفغانستان الإسلامية: ٩٩% مسلمين، وقصة طالبان والقاعدة والأحوال فيها بوجه عام معروفة، ودستورها إسلامي منذ ٢٠٠١م، وقبله كانت محكومة بفصائل المجاهدين المتناحرة فيما بينها.

٥. الجمهورية العربية اليمنية: ٩٩% مسلمين، وكلمة جمهورية إسلامية في دستورها مجردة من أي معنى حقيقي في التطبيق على الأرض.

٦. جمهورية الصومال: ١٠٠% مسلمين، وصارت جمهورية إسلامية فعليا بعد الحرب الأهلية بين القبائل في ١٩٩١م، وظهرت محاكم شعبية تطبق الحدود بعيدا عن الدولة، فتقطع الأيدي وترجم وهكذا، وأعلنت الدولة إفلاسها رسميا.

٧. جمهورية موريتانيا الإسلامية: ٩٩% مسلمين، ودستورها إسلامي من سنة ١٩٥٨م، وما شاء الله لسة فيها سوق جواري.

أما تركيا – وبها نسبة ٩٨% مسلمين – فوضعها مختلف، النموذج التركي الناجح ليس دولة إسلامية وإن كان يحكمها حاليا حزب مرجعيته إسلامية هو العدالة والتنمية، لكن دستورها مدني تماما، خاصة بعد التعديلات التي أزالت منه نزعة "أتاتورك" المتطرفة ضد الدين فصار أكثر مدنية، لأن المدنية لا تتعارض مع الدين بل ترحب بدور الدين في المجتمع.

الهوية المصرية

مصر نسبة المسلمين فيها ٨٨% ونسبة المسيحيين ١٢%، لا المسلمين "ضيوف" ولا المسيحيين "أهل ذمة"، ومفيش تمايز عرقي بيننا، يعني المسلم والمسيحي جايين من نفس الجدود، ماحدش مهاجر ولا وافد علشان نقارن وضعه بوضع المسلمين في فرنسا. فضلا عن كل ده فوجدان كل مصري – وبغض النظر

عن ديانته – عبارة عن عناصر متضافرة من الإسلام والمسيحية والتراث المصري القديم ، عبارة "اللي ف القلب ف القلب" أصلها "يا كنيسة الرب اللي ف القلب ف القلب" .. كلمة "حكم قراقوش" نتاج ثقافي لثورة أقباط قفط ضد الضرائب المجحفة التي فرضها "قراقوش" وزير "صلاح الدين الأيوبي" .. عبارة "صلِ على النبي" التي نقولها كلنا مسلمين ومسيحيين. هذا هو الوجدان المتضافر لشعب مصر.

الهوية لا تفرض

القانون الدولي واتفاقات حقوق الإنسان تعطي لكل جماعة بشرية سواء كانت شعبا أو طائفة أو مذهبا أو جماعة إثنية حقها في تقرير مصيرها (**Right of Self-Determination**)، وطبعا تنفيذ الحق ده مرهون دايما بمدى حماس القوى الدولية الكبرى للموضوع وفقا لمصالحها، طيب .. إيه اللي حصل في البلاد اللي حاولت فيها الأغلبية الدينية أو العرقية فرض هويتها بحجة الغلبة العددية؟ حصل انهيار للوحدة الوطنية، وده كان بيحصل بصور متعددة كلها أسوأ من بعضها، دائما تحت شعار "حق تقرير المصير" كمفهوم تأسيسي في القانون الدولي. فحدثت الحالات التالية:

– تقسيم الهند إلى الهند وباكستان ثم باكستان الشرقية (بنجلاديش) اعتبارا من سنة ١٩٤٧م على أساس ديني بين الهندوس والمسلمين.

– كردستان العراق ومنطقة الحكم الذاتي التي تأسست بعد ثورة دامية، والاستفتاء الذي يؤدي لانقسام إقليم كردستان تماما والمتوقع في ٢٠١٦م، وأساس التقسيم هنا عرقي.

– الحرب الأهلية في لبنان بداية من ١٩٧٥م وحتى ١٩٩٠م، وانتهت باتفاق طائفي مذهبي لتقسيم السلطة بين الموارنة والسنة والشيعة والدروز.

– تقسيم السودان بالأمس القريب وهو معروف لنا جميعا.

من هنا فسيادة الأغلبية في العملية الديمقراطية مرهونة دائما بمراعاة الآخر الديني أو العرقي للحفاظ على وحدة الوطن.

الدين الرسمي والنموذج الماليزي

لفت نظري صديق في حوار بيننا للنموذج الدستوري الماليزي، وماليزيا بلد تعددي ذو أغلبية مسلمة تتجاوز ٦٠٪ مقابل ٢٠٪ للبوذية والبقية أديان ومذاهب متعددة، فأغراني بالقراءة فيه. الدستور الماليزي يقر بالإسلام كدين رسمي للدولة، ويكفل حرية الاعتقاد الكاملة، ويعترف بالعقائد المسيحية والبوذية والهندوسية والكونفوشية وغيرها، ويعامل كل مواطن في شئون الأحوال الشخصية والمواريث وتغيير الديانة وفقا لعقيدته بحرية كاملة، وتبقى القوانين المدنية والجنائية والمحكمة الفيدرالية مؤسسات مدنية تماما، بهذه الصيغة حققت ماليزيا السلام الاجتماعي برغم دعاة الفرقة والفتن من كل الطوائف والملل، فهل نحن أقل من الشعب الماليزي نضجا وقدرة على تحمل المسئولية الوطنية والخيار الديمقراطي؟ آمل ألا نكون.

التغيير الثوري بالتقسيط

١٢ مارس ٢٠١١م[٧٠]

البطء الشديد في القرارات والتعامل مع المشاكل شكوى عامة بين النخب والشباب، برغم التحسن النوعي لوزارة الدكتور "شرف" في الأيام الأخيرة، لماذا؟ وهل هناك تغيير ثوري بالتقسيط؟ هل هناك ثورة أليفة؟

يتميز التغيير الثوري خلال المراحل الانتقالية بعد الثورات الشعبية – وحتى بعد الانقلابات العسكرية – بعدة ملامح، أهمها:

– تشكيل قيادة ثورية مؤسسة على شرعية الرضا العام وحدها، وهي شرعية آنية ومتغيرة، لهذا لا يضطلع بهذه المرحلة إلا رجال ليست لهم طموحات طويلة الأمد، "الرجال الجسور" الذين تعبر الثورات فوقهم، فمع كل قرار تتعرض القيادة لاختبار الرضا العام، ومخاطر "الثورة على الثورة"، ولهذا تكون مقيدة وغير مطلقة السلطة.

– تعتمد القيادة في رسم أهدافها وخطة عملها وأولوياتها على استشعار نبض الشارع ورأي النخب، والتفاعل مع الجماهير بالخطاب الثوري وحشدها خلف قرارات القيادة المحققة لأهداف الثورة.

– تعتمد القيادة على ذراع تنفيذي قوي وفعال عادة ما يكون القوات المسلحة.

– حصر الاهتمام بتحقيق الأولويات والإصلاحات محل التوافق الوطني، وتأجيل كل ما هو خلافي وجدلي ليحسم بعد المرحلة الانتقالية، ومن خلال دولة المؤسسات الديمقراطية التي ستتكون.

---

[٧٠] نشر المقال في جريدة الثوار، عدد ٢٥ مايو ٢٠١١م

- سرعة وشمولية هدم النظام القائم وإقامة كيانات انتقالية لتحل محله، بجرأة وبغير ارتعاش تغري فلول النظام بثورة مضادة.

- تقييد مؤقت لحريات وحقوق أقطاب ورموز النظام، تقييدا يحترم آدميتهم ولكنه كذلك يحترم حق الجماهير التي ثارت في الاستحقاق الثوري والسيطرة على مقاليد الأمور.

- ضبط الجبهة الداخلية وتأمين المواطنين من خلال الأحكام العرفية المغلظة والمحاكمات الاستثنائية لفترة محدودة.

بعد هذا كله، والذي قد يستغرق شهورا، تبدأ مرحلة البناء بوضع اللبنات الأولى لدولة المؤسسات والتحول من الشرعية الثورية الآنية للشرعية الدستورية الدائمة.

المنطقة الرمادية والثورة القانونية فوق العادة

عندما خرجنا يوم ٢٥ يناير الماضي، كنا نتبنى مطالب التغيير السبعة، وهي مطالب إصلاحية وليست ثورية، لأننا توقعنا انتفاضة شباب متحمس ونخب داعمة له، ثم تطور الأمر إلى ثورة جماهيرية فاحتشدنا خلف هدف واحد هو إسقاط رأس النظام ورمزه، وتحقق هذا في ١١ فبراير، ثم تحرك الجيش لحسم الأمر وتولى مقاليد السلطة.

بدأ الخلل عندما لم تفرز الانتفاضة الوطنية مجلسا لقيادة الثورة موازيا للجيش، بحيث يكتسب ثقلا شعبيا ورضا جماهيريا يرجح كفته في موازين السلطة، فيصبح الجيش ذراعه التنفيذي، بل حدث العكس، وتشكل ائتلاف شباب ومجلس حكماء يتجه كلاهما للجيش بمطالب إصلاحية، كمجرد وسيط، وكأن الثورة لم تكن، وكأن شرعية جديدة لم تؤسس. الجيش يدرك تماما أنه حسم المعركة ولكنه لم يبدأها، وهذا جيد، لكنه في غياب قيادة شعبية للثورة، صار مضطرا لتجنب

المزايدات، ومقيدا عن التحرك الثوري السريع، ومرهنا للتفاوض المطول مع أطراف لا تنتهي.

لهذا كله حدثت الأخطاء التالية:

- لم نخرج على الجماهير بإعلان دستوري ثوري يؤسس لمرحلة انتقالية، ويحدد إطارا زمنيا لصدور دستور دائم، ونشرحه لهم ونُنَظِّر له بلغة سهلة، ثم نطلب منهم الخروج للشارع ليعلنوا تأييدهم له، وكان البديل هو تعديلات دستورية محدودة، والحاجة لاستفتاء شعبي عليها في ظروف أمنية لا تناسب أي استفتاء، إصلاح دستوري بالتقسيط.

- لم نتخذ قرارا بالتحفظ الاحترازي على أموال كل أقطاب ورموز النظام السابق الموسومة بالفساد، وتقييد حرياقم بقرارات تتراوح بين الاعتقال والإقامة الجبرية، حتى تنتهي جهات التحقيق من عملها، وكان البديل ترك أذناب النظام تعبث بالثورة وتكتري البلطجية، مواجهة الفساد بالتقسيط.

- تأخرنا شهرا في قرارات الأحكام العرفية ضد البلطجة والتخريب. تأمين الجبهة الداخلية بالتقسيط.

- خشينا الاتمام بدكتاتورية الثورة، فلم نعقد محاكم عسكرية لمجرمين بحجم "العادلي" و"أحمد عز"، وحاسبناهم أمام محاكم مدنية، وبتهم محدودة. محاسبة المجرمين بالتقسيط.

- لم نصدر قرارات ترضي الغليان الاجتماعي مثل قرارات الحد الأدنى والأقصى للأجور وقرارات إعانة البطالة لحملة المؤهلات، واكتفينا بعلاوات ولجان دراسة مطالب. عدالة اجتماعية بالتقسيط.

المشكلة أن ثورتنا لم تكن بالتقسيط، ولم يترف شهداؤنا دمهم بالتقسيط، الثورة يا سادة ليست فعلا قانونيا وإن كانت تؤسس لدولة سيادة القانون، فهي تحقيق لقيمة العدل بالقفز أحيانا على القانون، والثورة كذلك ليست حراكا

ديمقراطيا وإن كانت تؤسس لدولة ديمقراطية، فهي حالة استثنائية من التواصل بين القيادة والجماهير واختبار دائم للرضا العام، في صورة بدائية من صور الديمقراطية، الثورة ليست مضمارا لمن يخافون المزايدة عليهم من قبل القلة ولكنها مضمار لمن يعرفون كيف يحصلون على تأييد الكثرة، علينا أن نختار بين إصلاح قانوني ودستوري بالتقسيط وبين ثورة ذات عنفوان وقدرة لا نهائية على الفعل والتغيير، فبعد بناء مؤسسات الدولة لن يكون هناك مبرر لعمل ثوري، حيث تنتهي عندئذ الشرعية الثورية وتبدأ شرعية دستورية جديدة.

حزب المعتذرين

٦ مارس ٢٠١١م[٧١]

آسفين يا "مبارك"، آسفين يا "شاوشيسكو"، آسفين يا "ميلوسوفتش"، عذرا "سالازار"، حقك علينا يا "صدام"، راسك أبوسها يا "فرانكو"، وشنا منك ف الأرض يا "بينوشيه"، لكم العتبى حتى ترضوا يا "موسوليني" و"هتلر" و"ستالين". آسفين يا كل دكتاتور في تاريخ العالم أزعجه شعبه الناقص قليل الأصل باللعن أو الخلع أو القتل.

كان علينا أن نقبل بالسيد "أحمد شفيق" رئيسا للوزراء لأنه شيد مطار القاهرة الجديد، منة علينا وتفضلا، ولو أنصف الألمان لبايعوا من أنشأ مطار فرانكفورت مستشارا أبديا، ولو مكانش الأمريكان شعب جاحد لصار باني مطار "جون كينيدي" رئيسا للولايات المتحدة، ولو كان في ملكة إنجلترا خير لقامت لمن شيد مطار هيثرو من على العرش وقالت له "أقعد مطرحي". لماذا تعامل هذه الشعوب المتخلفة الوزراء والمدراء والخبراء في حكوماتها كمجرد موظفين عموميين؟ لو أحسنوا يشكرون ويخرجون ليحل محلهم الدم الجديد، ولو أساءوا يحاسبون حساب الملكين؟

لا نحجر على أحد من إخواننا المعتذرين، فليعتذروا لو أرادوا حتى لنيرون، وليردوا اعتبار "كاليجولا"، ويلتمسوا عذرا لجنكيز خان، وليشكلوا لو أرادوا حزبا للمعتذرين شعاره "اللي ييجي ع الحكام والولايا ميكسبش"، لكن عليهم أن يذكروا أن تشكيل هذا الحزب بحرية صار ممكنا فقط بعد خلع "مبارك"، وأن أمن

---

[٧١] نشر المقال في جريدة نهضة مصر، عدد ١٧ مارس ٢٠١١م، وعدد ٥ يونيو ٢٠١١

الدولة لن يسجل عليهم أنفاسهم في مقر حزبهم، لأنه انهار وتداعى فور استقالة "شفيق" الذي كان غطاء وأمانا لفلول النظام المتداعي، عليهم أن يدركوا أن حريتهم مؤسسة على شرعية جرائمنا وخطايانا التي يعتذرون عنها، وليسمعوا منا كلمة أخيرة: الشطط الفكري مقبول في ظل الليبرالية والتعددية، لكنه يبقى شططا لا يمكث في الأرض كثيرا، ولكن يذهب كالزبد، وتبقى قيم الثورة على الطغيان ورفض أنصاف الثورات والتغيير على حرف، والتمسك بحق الوطن الكامل، تبقى راسخة كالحق في وجه الزمن والأحداث.

حفظ الله مصر الثائرة.

طبلة التكنوقراط

١ مارس ٢٠١١م

لم يتردد مصطلح على لسان الكل عَمَّال على بطَّال قدر مصطلح "حكومة التكنوقراط"، حتى كاد يصبح واحدا من التعبيرات الشبابية زي "طحن" و"ستايل" و"بيئة موت"، وفاضل شوية وتضاف لصفات الجنتلمان فيقال "شيرينج وكيرينج وتكنوقراط آخر حاجة"، كل هذا رغم أنه مطلب برأيي لا يعبر عن جوهر رفضنا للحكومة الحالية، فمشكلتنا مع حكومة "نظيف" ثم حكومة "شفيق" أنهما مكونتان من كوادر منتمية للحزب الوطني المتهم بإفساد الحياة السياسية، وأن سلوك الحكومة الحالية يستمر كسابقتها معبرا عن "الزواج الباطل" بين المال والسلطة. هذه مشكلتنا الحقيقية رغم أن أكثر وزراء حكومة "شفيق" تكنوقراط بالفعل!

ما هي التكنوقراطية؟

التكنوقراطية، أو سلطة الفنيين والمهنيين والخبراء والعلماء، تعبير ظهر في أوائل القرن الماضي، على مستوى المؤسسات والدول، فعلى مستوى المؤسسات ساد مفهوم سلطة ونفوذ الكوادر المالية، قبل أن تظهر حوالي عام ١٩٢٠م مفاهيم الإدارة العلمية مع "فريدريك تايلور"، والتسويق العلمي مع "فيليب كوتلر"، لتحسم المعركة لصالح نفوذ المهنيين والفنيين والخبراء المتخصصين، من وقتها وحتى اليوم. وعلى مستوى الدول ساد مفهوم حكومات الفنيين والخبراء ليطغى على مفهوم سابق هو مفهوم السياسيين المحترفين، كنموذج السيد "فؤاد سراج الدين" قبل الثورة، والذي كان وزيرا للزراعة ثم وزيرا للداخلية في وزارة تالية، لا هو مهندس زراعي ولا هو ضابط شرطة، فقد كان دوره تنفيذ سياسات الحزب

والاعتماد على مساعدين فنيين ومتخصصين، لهذا ظهرت دعوة في ١٩٥٢ لإحلال وزارة تكنوقراط محل وزارات الباشوات غير الفنيين من محترفي السياسة.

تكنوقراط في حكومة شفيق

- "أحمد أبو الغيط" تكنوقراط، لأنه دبلوماسي مؤهل في العلوم السياسية ويتولى وزارة الخارجية، مع ذلك مشكلته هي الأداء المعلول الذي نكس رؤوس المصريين في الداخل والخارج، فملعون أبو التكنوقراطية لو بالشكل ده.

- "أشرف حاتم" تكنوقراط، لأنه طبيب يتولى وزارة الصحة، لكنه عضو لجنة سياسات الحزب الوطني ومن شلة الوريث.

- "أيمن أبو حديد" تكنوقراط لأنه مهندس زراعي يتولى وزارة الزراعة، لكن هذا لا ينفي كم المخالفات الإدارية التي تورط فيها في مدى شهر واحد من توليه الوزارة ومنها موضوع حساس كسرطنة الغذاء.

- "سمير رضوان" تكنوقراط لأنه كادر مالي يتولى وزارة المالية، ومشهود له بالكفاءة المهنية على فكرة.

- "ممدوح مرعي" تكنوقراط لأنه رجل قضاء يتولى وزارة العدل، ولكنه من نعرف جميعا فسادا وموالاة للنظام السابق.

- "حسين طنطاوي" تكنوقراط لأنه قائد عسكري في وزارة الدفاع، وليس مثل "رامسفيلد" مثلا في الولايات المتحدة الذي تولى المنصب وهو رجل مدني وخبير إدارة.

- "زاهي حواس" تكنوقراط لأنه خبير آثار في وزارة الآثار.

- "محمود لطيف" في البترول و"عمرو سلامة" في البحث العلمي، كل منهما من أهل الخبرة في مجاله كذلك.

وعليه، فمعيار التكنوقراطية ليس المعيار الذي نرفض على أساسه الوزارة الحالية وليس التعبير الدقيق عما نريده في وزارة إصلاحية، مهما كان مترددا على لسان الإعلاميين والشباب. نحتاج على مستوى الفترة الانتقالية وزارة تسيير

أعمال تتكون من كوادر الوزارات الحالية من المشهود لهم بالخبرة والنزاهة، مش أي تكنوقراط من خارج الوزارة، حتى يتولى أبناء الوزارة حل المشكلات الملحة التي يعرفونها في وزارتهم بالفعل، وكذلك يملكون القدرة على التهدئة لأنهم وجوه موثوق فيها من قبل العاملين في الوزارات.

أما على مستوى الوزارة فيما بعد المرحلة الانتقالية، فنحتاج وزارة إصلاحية تتبنى مشروعا تنمويا عاما يرتكز على عدة مشاريع قومية تحتوي الشباب وطاقات العمل، في إطار خطة خمسية محكمة. فعندما تبنت ثورة يوليو وزارات التكنوقراط كانت حديثة نوعا في العالم كمفهوم وتجربة إنسانية، لكن الفكر السياسي تجاوزها اليوم في كثير من دول العالم، لتحل محلها الكوادر المؤهلة في الفكر الاستراتيجي والتخطيط طويل الأمد، خاصة مع تطور علم الإدارة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ونظرة لوزارات الدول السبع الصناعية والولايات المتحدة ستدلنا على طبيعة الكوادر التي نحتاجها في قيادة الإصلاح.

خطاب مفتوح للقوات المسلحة المصرية

٨ فبراير ٢٠١١م

إلى: السادة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية، سيادة الفريق/ محمد سامي عنان، رئيس الأركان

تحية طيبة مباركة، وبعد،

أخاطب سيادتكم بصفتي الشخصية كمواطن مصري وفقا للمادة (٦٣) من الدستور، والتي كفلت حق الفرد في مخاطبة المسئولين في الدولة. أبدأ فأقدم شكري الوافر للمؤسسة العسكرية المصرية التي شهد لها الرسول (ص) بالخير منذ أربعة عشر قرنا، والتي دللت خلال أحداث ثورة يناير ٢٠١١م على مدار الأسبوعين الماضيين على نفاسة جوهرها الوطني، لتثبت أنها كانت ومازالت سيف الوطن ودرعه، رغم الحدث المؤلم يوم ٢ فبراير، والذي لم تمكن القوات المسلحة فيه من أداء واجبها المقدس.

لا تخفى على سيادتكم دقة الوضع الراهن في مصر، فقد خرجت الجماهير الثائرة على النظام في أيام ٢٥ و٢٨ يناير، ثم ١، ٢، ٤، ٦ و٨ فبراير ٢٠١١م في تظاهرات واعتصامات ومسيرات مليونية، كسر بعضها رقما تراوح تقديره بين ستة وثمانية ملايين، بمعدل احتجاجي غير مسبوق في ثورات العالم المعاصرة تراوح بين (-١٠%) من تعداد المصريين، وكان المطلب الثابت للملايين ومازال هو سقوط النظام الحاكم بقمته ممثلة في السيد رئيس الجمهورية، وكافة أركانه ممثلة في الحكومة والبرلمان بمجلسيه، مما أفقد النظام المصري الحاكم شرعيته بفقده للرضا العام وفقا للأعراف السياسية الدولية.

ومن ناحية مقابلة أصر السيد رئيس الجمهورية ومازال على تجاهل صوت الجماهير المطالب بتنحيه عن السلطة وحل مجلسي الشعب والشورى، وتبنى

مبادرات إصلاحية لم ترق لمستوى مطالب الجماهير، وانطلق الإعلام الحكومي يطالب الملايين بالتراجع عن مطلبها الأول بتنحي الرئيس، وكان الأولى به أن يطالب الرئيس الفرد بالتنازل عن كبريائه الشخصي استجابة لرغبة جماهير شعبه، والتي لا تملك عمليا وأخلاقيا أن تتنازل عن مطلبها هذا، فقد خضبت فعاليات الثورة بدماء زكية لثلاثمائة شهيد من زهرة شباب الوطن[٧٢]، لقوا ربهم على هذا المطلب المشروع، ليلزموا الأحياء منا به، ويجعلوا التراجع عنه خيانة لنضالهم دونها الموت. بينما يملك السيد الرئيس الاستقالة من منصبه حقنا للدماء واحترازا من الفوضى، وحدا لمعاناة الشعب. وقد جرت مفاوضات وحوارات طالت يوما بعد يوم ولم تتمكن من تصفية الخلاف الوطني، ولا فهم معطياته وضروراته إيذانا بحله، مما دفعنا للجوء إلى سيادتكم بخطابنا هذا.

خطابي إليكم سيادة الفريق ليس تحريضا على شرعية ولا قلب نظام حكم، بل حض على تحقيق الشرعية وتقويم نظام الحكم، فقد خلقت ثورة يناير شرعية جديدة بالرضا العام عن مطالبها، وبقي أن يتدخل الجيش لتحقيق الشرعية الجديدة وحمايتها. وليس خطابي كذلك حثا على عسكرة الدولة، فالجماهير كانت ومازالت حريصة على مؤسسة رئاسة مدنية دستورية، ودولة مؤسسات وسيادة قانون، قدر حرصها على استقلال القرار الوطني والإعراض عن كافة محاولات التدخل الخارجي، وقدر احترامها للمؤسسة العسكرية المصرية ودورها الوطني في المرحلة الانتقالية الراهنة، دون إفراط ولا تفريط في هذا الدور.

إنما خطابي إليكم هو التماس لوساطة القوات المسلحة المصرية، بما لها من ثقل في الدولة على المستويين الرسمي والجماهيري، لحث كل من السيد رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة، والسيد وزير الدفاع والقائد العام، على الاستجابة لمقتضيات الشرعية الجديدة التي فرضتها ثورة يناير، والنزول على

---

[٧٢] تبين بعد الثورة أن العدد الحقيقي أكبر بكثير.

رغبة الجماهير بالتنحي عن منصبيهما، واتخاذ ما يلزم من تدابير لذلك في نطاق القوات المسلحة المصرية، ليكون ذلك تكليلا لدورها البطولي في الأزمة، يتسنى بعده للحكومة الانتقالية ممارسة مهامها، وللجنة الدستورية التي كلفت بتعديل الدستور الاضطلاع بمهمتها، ويكون ذلك إيذانا بانصراف الجماهير من مرحلة الحشد إلى مرحلة التنمية وإعادة البناء ومكافحة الفساد الذي أورثته المرحلة المنقضية، حفاظا على مصر الباقية أبدا.

وختاما يا سيادة الفريق، لقد كانت القوات المسلحة في كل ثورات عالمنا المعاصر محطة النهاية لنضال الجماهير في سبيل التحرر والديمقراطية، تتحرك منحازة للشرعية الشعبية فتنهي أحداث الثورة بنهاية عصر وبداية عصر جديد أكثر إشراقا، وكلنا ثقة ورجاء أن قواتنا المسلحة ستكون كما كانت دوما أكثر قدرة واستعدادا من غيرها على مواجهة الصعاب والتحديات التي تواجه سفينة الوطن. وفقكم الله لما فيه خير هذا الوطن.

والله من وراء القصد وبالله التوفيق

اعتراف بالتخريب

٢ فبراير ٢٠١١م

خلاص يا جماعة، الرئيس وضح كل حاجة في خطابه العاطفي العظيم أمس، ولازم نعترف أننا معشر النشطاء والمدونين والحقوقيين و"العيال بتوع الفيسبوك" سبب كل المصايب، احنا اللي خربنا بلد الأمن والأمان على دماغ أصحابها الهادئين الوادعين المنعمين في ظل نظام "مبارك" والحزب الوطني العظيم، ويا حبيبتي يا مصر .. يا مصر. لازم نعترف وبعدين نتوب إلى الله وننزل نهتف بحياة الريس مع إخواننا بلطجية الوطني، وجنود الأمن المركزي في الزي المدني، والراقصين والمأجورين وهتيفة الانتخابات، ما هم مواطنين ورأيهم زي رأينا وأهم كمان. بس الأول .. نكمل اعتراف بكل جرايمنا في حقكم يا مصريين[٧٣].

احنا المتظاهرين اللي خربنا مصر، احنا القلة المندسة اللي كانت امبارح أكتر من ٢ مليون، احنا اللي بعنا القطاع العام برخص التراب، احنا اللي بعنا حديد الدخيلة لأحمد عز علشان نغلي عليكم المأوى والمدفن، احنا اللي خربنا بيوتكم في شركات توظيف الأموال، احنا يا مصريين اللي ضيعنا دم ضحايا عبارة السلام، احنا اللي مضينا لليهود الكويز اللي دخلتهم كفر الدوار والمحلة الكبرى، احنا اللي قلنا إن الرئيس المصري محتاج مباركة من أمريكا وإسرائيل[٧٤]، واحنا اللي خلينا مصر دولة "صديقة" للعم سام الطيب. احنا اللي قتلنا "خالد سعيد" و"أبانوب كمال" وضيعنا دمهما هدرا. احنا اللي زورنا انتخابات الشعب والشورى، وشجعنا الفساد وحاربنا الشرفاء في أرزاقهم وأمنهم.

---

[٧٣] كتب هذا المقال بمرارته على إثر رد الفعل الشعبي المتعاطف مع مبارك والمنقلب على الثورة بعد خطابه العاطفي الشهير يوم ١ فبراير، وقبل أحداث واقعة الجمل.

[٧٤] تصريحات مستشار رئيس الجمهورية الأسبق في العام الأخير من حكم مبارك.

احنا المخربين المجانين، العيال التافهين الفاضيين، اللي ضربنا نفسنا ليلة ٢٥ يناير في التحرير بالغاز والطلقات المطاطية والشوم، ودوسنا بعضنا بالمدرعات، وفتحنا المية على بعضنا وهم بيصلوا على الكوبري، واحنا اللي عمينا نفسنا بقنابل غاز منتهية الصلاحية من ست سنين في جمعة الغضب ٢٨ يناير في رمسيس، واحنا اللي قفلنا البنوك الأيام اللي فاتت علشان نمنع عنكم فلوسكم، ونقصنا السلع الغذائية بدون مبرر علشان نجوعكم، وفرضنا عليكم حظر التجول وضيقناه يوما بعد يوم. كمان احنا اللي قطعنا الانترنت والموبايل والرسايل الخطية عنكم. واحنا اللي ضربنا بعض النهاردة الصبح في التحرير وهجمنا على نفسنا بالجمال والحمير وضربنا بعض بالطوب والخرطوش والرصاص الحي.

يا ساتر .. إيه الإجرام ده؟ ده احنا نستاهل الشنق. الشباب المعتصمين في الميدان طوال الوقت أكيد يستاهلوا الدبح. ومش بس مجرمين، كمان احنا جاحدين وناكرين الجميل للراجل السكر ده .. بجد بجد "مبارك" ده "حد جميل قوي وفوق الفظيع"، كفاية إنه مستتنا ومأكلنا من خيره وآوينا في حمايته، ومبيحبش السلطة خالص .. حكمنا تلاتين سنة علشان يخدمنا بعينيه وكان بيجهز ابنه يكمل في خدمتنا بعده. فيه تضحية أكتر من كدة يا ناس؟

مالكم خيبكم الله كيف تحكمون؟

يا منقطعي الأنفاس بيننا، يا واهني الهمم من أبناء وطننا، ويا عبيد البطون والجيوب، يا من انقلبتم على أعقابكم في ساعة من ليل، فصار الحق ع المقتول، وصارت الكرامة رفاهية، والحرية بدعة، يا من اشتقتم لجزمة النظام وسياط العادلي .. أكرهكم حتى الموت .. أكرهكم ككراهيتي لسنوات الظلم والطغيان والهوان.

أما أنتم يا مجانين ميدان التحرير و"عيال الفيسبوك" .. ويا كل مجانين مصر الثابتين على درب الحرية والكرامة في كل حدب وصوب، فألف أهلا بالمجانين إذا هم حررونا، ربما مالت نفوسنا الأمارة بالسوء ساعة للتفاوض مع النظام والحصول على أكبر مكاسب ممكنة، أما اليوم، وبعد كل ما حدث في الميدان من جرائم علنية وعهر جنائي، فنقول بصدق والله شهيد .. نحن معكم .. حتى نهايته .. أو نهايتنا.

خواطر استراتيجية ليوم ٢٥ يناير

٢٣ يناير ٢٠١١م

هناك إعداد وحشد معقول لتظاهرات يوم ٢٥ يناير، تعين عليها الحالة العامة في المنطقة عامة والمجتمع المصري خاصة، لهذا قد يكون من المهم أن نتجنب أخطاء تقليدية وقعت فيها الحركات الوطنية المعاصرة، ونعد لليوم بفكر استراتيجي يعرف كيف يناور الخصم ويدرس إمكاناته ونقاط قوته وضعفه.

من الثلاثاء للجمعة

تركيز الدعوة ليوم واحد يحدد هدف الأمن في تمرير هذا اليوم بأي صورة، ولكن الإعداد لبداية قوية يوم الثلاثاء ٢٥ يناير تتبعها مظاهرات جزئية، بصفة خاصة في التجمعات الطلابية والعمالية من الأربعاء للجمعة ٢٨ يناير، سيكون قوة ضغط سياسي أقدر على الاستجابة للمطالب النوعية.

نقاط التجمع وتكتيك النجمة

التعامل مع الحشود الأمنية قريب الشبه من المناورة بالقوات في العلوم العسكرية، ولدينا في مصر حالة خاصة في العالم بأسره مع عدد مهول من أفراد الأمن المركزي الذي يمثل جيشا موازيا، والأنسب للتعامل مع التفوق العددي لقوى الأمن هو اعتماد منطقة واحدة أو اثنتين في كل محافظة، لأن التعدد الزائد يشتت المتظاهرين وليس الأمن الأوفر عددا، ثم تفتيت المنطقة لبؤر فيما يطلق عليه تكتيك النجمة، كل منطقة تحدد فيها عدة ميادين/ بؤر تصل بينها شوارع طويلة نوعا، مع تعليمات بالتجمع ثم التوجه من الأطراف إلى المركز، هذا التنظيم عندما يحاول الأمن تطويقه يصبح الأمن نفسه مطوقا بالمتظاهرين من عدة جهات، حتى يتحقق هذا يجب وجود غرفة عمليات نشطة ونقاط اتصال في كل تجمع.

الثبات الانفعالي

الهتاف المنظم على وتيرة ثابتة يخلق حالة من الشجاعة والثبات لدى الجماهير، الصراخ الانفعالي والهياج والانفلات الذي يحدث من قبل بعض العناصر (الأمنية عادة) يؤثر في ثبات الناس ويدفعهم للانصراف، لذلك يجب أن يعلو الهتاف المنتظم المتفق عليه سلفا بدون ألفاظ نابية وبدون تهريج يقلل من احترام الموقف حتى يغطي على العناصر الأمنية المثيرة للقلاقل.

المطالب النوعية المحددة

عندما تنجح قوى التغيير في الحصول على اعتراف النظام بقوتها تكون قد حققت نصف المسافة نحو تغيير النظام، والاعتراف يأت عن طريق الاستجابة لبعض مطالبها، ولهذا يجب أن تكون هناك مطالب محددة ومحدودة العدد، أو مطلب واحد كبداية، فالدستور هو المعضلة الكبرى، والمطلوب هو مجلس حكماء لتعديل الدستور يضم وجوها وطنية مقبولة من المعارضة المستقلة والأحزاب والجماعات، وعلينا تأجيل مطالب صعبة المنال مثل وقف العمل بقانون الطوارىء، لأن النظام يعرف أن وجوده مقترن بوجود هذا القانون. في مرحلة لاحقة، ومع تصاعد القوة، سنصل لهذا المطلب الحيوي، ولكن وضعه في أول القائمة يجعل الاستجابة لأي طلبات مستحيلة. الذكاء هنا هو أن تجعل للخصم أملا في المناورة والمداورة، والمطالبة بمجلس حكماء ستعطيهم أملا في تكوينه ثم تمييع دوره، وبعد تكوينه تكون قوى التغيير قد كسبت أرضا وثقة في نفسها، وكذلك الجماهير، فيبدأ الضغط لعدم تمييع المجلس الذي يشكل قارب نجاة دستوري.

أعرف أن التيارات الموجودة على الساحة اليوم تتبع منهجا مغايرا وبعيدا عن المنهج الذي أتحدث به هنا، ولكن هذا لا يمنع أن نقوله ، فلو لم ينفع أحدا اليوم قد ينفع ذات يوم بعد عقد أو قرن، والله الموفق وعليه قصد السبيل.

أربعة منتحرين وكافر

١٩ يناير ٢٠١١م

هرب متحدث الأزهر هروبا ذكيا من محاولة الحصول على تصريحات تكفر الأربعة المنتحرين احتجاجا خلال الأيام الثلاثة الماضية، فقال أنه لا يمكنه الحكم على حالتهم، والتي قد تكون مضطربة نفسيا نتيجة للضيق والغضب، وأن أمرهم إلى الله سبحانه وتعالى. نقول مع فضيلته أن أمرهم إلى ربهم وندعو لهم بمغفرة من الله ورحمة، فحمى الانتحار من مصر لتونس للجزائر لموريتانيا ليست حالات انتحار من جراء القنوط من رحمة الله، ولكنها حالة ذهنية رافضة من الاحتجاج بالموت وصرخات العذاب، بدأها انتحار "محمد بوعزيزي" في تونس وما تلاه من أحداث. حالة من كراهية الحاكم حتى الموت، وإن كان الموضوع لا يخلو من الكفر، ولكنه هنا ليس كفر المنتحر ولكن كفر من نحره معنويا ودفعه دفعا للانتحار عضويا.

رضي الله عن الإمام "علي بن أبي طالب" فيلسوف الأمة يوم قال "كاد الفقر أن يكون كفرا"، ونقول على منهجه ودربه: وكاد صانع الفقر أن يكون كافرا. الشاب العشريني الذي مات احتراقا فوق سطح منزله بالإسكندرية، من جعله عاطلا وجعل حلاوة الشباب في فمه مرارة؟ من جعله يقنط في عمر الأمل؟ من بغض إليه حياته وهونها عليه؟ من فعل كل هذا هو الكافر وليس غيره. الرجل الذي حاول الانتحار وهو في الخمسين من عمره، في سن الحكمة والنضج، حاول الانتحار احتجاجا على مهانته وعجزه عن الحصول على أبسط حقوق المواطنة لأسرته، من جعله يشعر بالعجز أمام طلبات عياله فاستوت عنده حياته وموته؟ من فعل به هذا هو الكافر وليس غيره. خريج التجارة العاطل الذي شنق نفسه بغضا لحياة بلا معنى، من جعل حياته بلا معنى هو الكافر. هؤلاء الأربعة هم من بلغت

الميديا أخبارهم، وعلى مسئوليتي كطبيب سبق له العمل في مستشفياتنا العامة أقول أن حالات الانتحار ومحاولة الانتحار المسجلة عندنا أقل من نصف الحقيقة[٧٥].

انظر لنفسك ومن حولك، كم من المحيطين بك يعاني من أزمات نفسية متتالية؟ كم منهم سبق له العلاج بمضادات الاكتئاب؟ كم منهم يستخدم عقارا مهدئا أو منوما؟ دع جانبا من يتعاطون الحشيش والمخدرات والمسكرات بأنواعها. نحن مجتمع يمرر الأيام ولا يعيشها، مجتمع فقد بوصلته ومشروع حياته وفقد الوعي بجدواها ومعناها، مجتمع على شفة الانتحار يا سادة، ليس لأننا مجتمع كافر، ولكن لأننا مجتمع كثرت في حياته السخافات والإهانات والحماقات، حتى صار لنعمة الحياة بجوفه مذاق النقمة. لسنا كفرة ولكن الكافر من عبد سلطانه وصولته من دون الله. الكافر من عصى الله فينا وأطاع الشيطان. الكافر من قاتل كل مؤمن بمبدأ أو دين أو قيمة أو وطن. الكافر من استحل مال الشعب ورسف الناس في سلاسل الفقر والبطالة والعوز، حتى صار دخل الخريج الجامعي في بلاد محاصرة اقتصاديا كسوريا وإيران ثلاثة أمثال دخل نظيره في مصر. الكافر هو من عادى المناضلين، وقرب المطبعين، وألقى بالمودة للاستعماريين. والمنافق من دبج له فتاوى "المركوب عليهم" بالخنوع لولي الأمر ولو جلد الظهر وشرب الخمر، والخارجي من ألهى الناس بالفتن عن هموم الوطن.

اللهم إنك عفو رحيم تحب العفو وأنت له أهل، اللهم إنا ندعوك بحق قدرتك علينا أن تتجاوز عنا وعن عبادك ممن اسودت بأعينهم حياة فقدت بوصلتها ومعناها وجدواها، فضاقت صدورهم بتردد الأنفاس وضاقت قلوبهم بالنبضات. اللهم إننا من نور وجهك نستحي، فلا ندعوك ربنا لتضرب الظالمين بالظالمين، ولكننا نبتهل إليك أن أعنا ربنا وثبتنا لنناضل من ظلمنا وظلمهم، حتى تعذبهم يا الله بأيدينا وتشف صدورنا وصدور ضحاياهم من مظالمهم وسيئات أعمالهم .. آمين يا رب العالمين.

---

[٧٥] في حالة عدم وجود شبهات جنائية، يستجيب الطبيب في المستشفى العام أحيانا لرجاء أهل المنتحر بعدم تحرير محضر بواقعة الانتحار حتى لا يجمع عليهم حزن الفقد وعار الفضيحة بين الأهل والجيران.

الرئيس يطالب

١ يناير ٢٠١١م

ظريف جدا المود الذي تبناه الرئيس "مبارك" مؤخرا، مود "الرئيس المطالِب" بكسر اللام، وليس "المطالَب" بفتحها كما هو حال رؤساء الدنيا، فهو يطالبنا ولا نطالبه. قبل انتخابات الشعب الرئيس يطالب بانتخابات حرة نزيهة، ويأمل في نتائج مرضية، وقبلها الرئيس يطالب بتوفير السلع الأساسية للمواطنين مع دخول العيد، واليوم مع مصيبة انفجار السيارة المفخخة أمام كنيسة القديسين يخرج الرئيس ويطالب المصريين بالوقوف صفا واحدا ضد الإرهاب! ربما عملا بمنطق خدوهم بالصوت قبل أن يطالبه المواطنون بالحد الأدنى المطلوب من أي نظام، وهو الأمان. أن يأمن الناس على أنفسهم وأولادهم وممتلكاتهم.

أن "يطالِب" رئيس الجمهورية في مصيبة كتلك هي مصيبة ثانية بذاتها، ففي مثل هذه الظروف ينتظر من رأس الدولة والجهاز التنفيذي قرارات، أو إجراءات، أو تحقيق مع المقصرين في جهاز الأمن، أو حتى بيانات توضح الأمر وما وراء الكواليس، ولكنك لا تنتظر أن يضم الرئيس نفسه إلينا، نحن معشر الأقلام والأصوات المسكينة قليلة الحيلة من المدونين والناشطين، هؤلاء الذين كتب عليهم أن ترى عيونهم كل ما لا ترضاه في هذا الوطن، وأن يطالبوا بتغييره فيما يكتبون هنا وفي المدونات والمجموعات، حتى لو كانوا يعلمون ألا جدوى من المطالبة، لأن المطالبة في حد ذاتها .. تنفيسة.

هل تذكر مشهد "وعايزني أكسبها" الشهير للعبقري الراحل "محمود المليجي" في فيلم اسكندريه ليه؟ حين برر مرافعته عن الشاب الوطني مع يقينه بخسران القضية بأنها "تنفيسة"، فقال "تنفيسة لي ولك، محام يقول كلمتين كويسين، صحفي يلقط منها لمحة نضيفة، قاضي تفلت منه كلمة شجاعة، أهي تنفيسة للكل"، وقد

صدق، فهي تنفيسة عن الصدور حتى لا تنفجر.. وشكل من أشكال إبراء الذمة أمام الله ومواساة الذات، هذا ما نفعله جميعا حين نكتب في أمر من أمور الوطن فنطالب وننادي ونهيب، وحتى هذه أراد فخامة الرئيس أن يشاركنا فيها. طيب .. اتفضل يا ريس.

إيه رأيك تعمل مدونة يا ريس تطالب فيها باللي عاوزه كله؟ والسيد رئيس الوزراء والسادة الوزراء كمان كل واحد يعمل مدونة ويطالب، احنا نطالب وانت تطالب وهم يطالبوا ونقضيها مطالبات. لكن في أي شيء ستركز مدونتك؟ مجالات التدوين أمامك كثيرة، فانظر لأولادك وأحفادك المدونين واختر ما تشاء. منهم من يدون ليكتب أدبا أو علما أو تاريخا لم يجد طريقا للنور في ظل حكمك، ومن يدون ليكتب تغطية صحفية صادقة تغلق أي صحيفة فورا لو نشرتها، ومنهم من يدون ليسب الدنيا والدين من فرط اليأس والقنوط في عهد سيادتك، ومن يدون بحثا عن عريس/ عروس في زمنك الذي عز فيه الحلال وراج الحرام، ومن يدون لتزجية وقت البطالة، ومن يدون لأنه موظف حكومي بلا عمل، ومن يدون ليرصد الفقر الذي طال كل شيء في ولايتك.

اختر ما تشاء يا ريس ودون وطالب كما تشاء، لكن .. بما أنك اخترت الانضمام للمطالبين، فلنا أن نسألك: ألم يأت الوقت بعد لترك السلطة لمن لديه الطاقة والقدرة والنية ليحكم؟ فالرئيس عادة يحكم ولا يطالب.

المقص ولا السكينة؟

مصر بين الوطني والإخوان

نشر المقال في كتابي وجع الدماغ الصادر في ٢٠٠٨م من دار أكتب

سولت لي نفسي مساء أمس أن أفعل أمراً لا أفعله إلا نادراً وهو مشاهدة التليفزيون، أغرتني بذلك حلقة من مسلسل ما لبثت أن انتهت لأعبث بالقنوات حتى أرى المرشد العام لجماعة الإخوان المحظورة السيد "مهدي عاكف"[٧٦] في مؤتمر صحفي، ومعه نائبه، وكعادة النفس أمارة بالسوء، وضعت الريموت جانبا لأسمع ما يقوله الإخوان عن خوض انتخابات المحليات بقرابة الستة وأربعين مرشحاً، يقول نائب المرشد أنهم سيخوضونها بشعارات مغايرة للشعار التقليدي للجماعة "الإسلام هو الحل"، وستحل محله شعارات أكثر تحديدا ومرتبطة بالمحليات، كلام جميل وتحسن ملحوظ، لكنهم بين كل كلمتين لم يبخلوا علينا بالتباكي المعروف والمألوف عن الاعتقالات والجماعة المضطهدة والدولة التي تحيك ضدها المؤامرات، من إصدار قوانين خاصة لحجبها عن العمل السياسي، لتزوير الانتخابات، .. إلى آخر القائمة الإخوانية المعهودة!

ضحكت ملء فمي وأنا أستمع لحديث السيد "مهدي" والدكتور "محمد حبيب"[٧٧] حول اضطهادهما، وأتساءل؟ لو أنكم مضطهدون ومقاومون من الدولة، فأنى لكم بهذا المؤتمر وتلك اللافتات والمنصات والفضائيات؟ ألا يحدث هذا في مصر؟ أليس كل هذا معلوم ومصرح به من الدولة وتحت سمع وبصر أجهزتها الأمنية؟ أم أن هذا المؤتمر الحافل يذاع من كابول؟

---

[٧٦] كان هو المرشد العام وقت كتابة ونشر المقال وقبل انتخاب الدكتور محمد بديع في يناير ٢٠١٠م

[٧٧] لم يكن الدكتور حبيب قد استقال في ذلك الحين، وقد تحدث هو نفسه بعد ذلك عن علاقة الإخوان بنظام مبارك والمفاوضات المتصلة بينهما

أضحكني أكثر بيان الجماعة المنشور على موقعها! والذي نصت فيه على أنها ترى في خوض الانتخابات واجباً دينياً، فكان لي سؤال بريء: وعندما قاطعتم من قبل، ألم تكونوا على دراية بهذا الواجب الديني؟[78] أم أن هناك تحديثات دينية تصلكم وحدكم ونحن لسنا على علم بها؟ أستغفر الله العظيم. كعادتكم تجدون غطاءً شرعياً لكل موقف وكل فعل؟ فإذا خضتم الانتخابات كان خوضها واجبا دينيا، وإذا قاطعتم أصبح التصويت من الكبائر. لماذا لا تقولون ببساطة أنها السياسة بمناوراتها، تقتضي هذا حينا وذاك حينا؟ لماذا تصرون على إضفاء طابع القداسة الدينية على تصرفاتكم غير المقدسة؟ وغير المنزهة عن الغرض؟

أما المضحك المبكي فكان عرض الإخوان على الكنيسة ترشيح ألف قبطي على قوائمهم، وهو عرض رفضته الكنيسة بسبب موقف المرشد السابق "مصطفى مشهور" من الأقباط وموضوع الجزية المعروف[79]، ما شاء الله، جماعة دينية تعرض تحالفا انتخابيا على بطريرك! أين نحن بالضبط؟ هل عدنا للقرون الوسطى؟ الجهتان المتفاوضتان ليس لهما كيان سياسي ولا حيثية تفاوض عن أحد؟ لا الإخوان ولا الكنيسة، فليس أي منهما حزب قائم ليتم بينهما تحالف انتخابي. لكن بما أننا في زمن تضيع فيه الهوية القومية والوطنية لصالح الهوية الدينية فلا عجب، وبما أننا في بلد يعتبر الفصل بين السياسة والدين كفراً، فليتجاذبوا ويتنافروا ما شاء الله لهم ذلك!

اعتاد البعض في مصر أن يبرر ميله للإخوان وتعاطفه معهم بكراهيته للحزب الحاكم على طريقة المستجير من الرمضاء بالنار، وهو بهذا يتجاهل الرابط الوثيق بين الحزب الحاكم والإخوان في علاقة جدلية معقدة يصبح كل طرف فيها عنصرا

---

[78] هكذا نرى أن تراجع الجماعة عن مواقفها ليس وليد الامس أبدا وليس مثيرا لعجب المتابع المدقق لسلوك تلك الجماعة

[79] راجع تصريحات المرشد الأسبق "مصطفى مشهور" عن وجوب فرض الجزية على الأقباط، وعدم تجنيدهم في جيش مصر الوطني.

حيويا للآخر. فالوطني يدعم شرعيته بالسيطرة على الإخوان، والإخوان يدعمون شعبيتهم بإدعاء اضطهاد الوطني لهم[٨٠].

الوطني وسياسة عفريت العلبة

لجماعة الإخوان المسلمين (التي تحب الحكومة أن تسميها محظورة) فوائد لا تحصى ولا تعد لتلك الحكومة ذاتها، فموضوع "محظورة" هذا مجرد إسم دلع للإخوان تدللهم به الدولة على صفحات الجرائد القومية، أما على أرض الواقع، فأين الحظر؟ لهم مقرات معروفة، وهيكل تنظيمي معلن، ولقاءات هنا وهناك. هي جماعة موجودة أكثر من الأحزاب وليست محظورة، وليس من مصلحة الحزب الوطني أن تحظر فعليا، فهي بوضعها هذا تمثل صمام أمان للحكومة، إذ تلعب دور البعبع أو عفريت العلبة. إذا زادت ضوضاء المثقفين وحركاتهم في الداخل مثل حركة كفاية، يفتح النظام العلبة ليقفز شبح الإخوان في وجه النخبة المثقفة، والتي تخشى يوما يصبح فيه الإخوان في السلطة فيخلعوا قناع الاعتدال، لتسود شمولية ثيوقراطية تتضاءل بجانبها محاكم التفتيش! ولو تعاظمت الضغوط الدولية لدعم الديمقراطية من الخارج، تفتح العلبة كذلك، وينط نفس العفريت في وجه المجتمع الدولي، موجها رسالة صارخة مفادها: "الديمقراطية هتجيب دول"، كما حدث بعد المرحلة الأولى في انتخابات مجلس الشعب الأخيرة[٨١]، فيتراجع المجتمع الدولي خوفا من التعجيل بخلق بؤرة إرهابية جديدة في مصر كبؤر أفغانستان والعراق، وهذا هو الدور الذي لأجله يفتح النظام شهية الإخوان تارة ويضرب على يدهم تارة.

---

[٨٠] حتى اليوم وبعد وصول إخواني لقمة السلطة يبررون فشلهم في إدارة البلاد بعفريت نظام مبارك والفلول والثورة المضادة

[٨١] المقصود هنا انتخابات مجلس الشعب ٢٠٠٥م

أنا لا أنكر الاعتقالات ولا بعض نماذج الاضطهاد، لكن الإخوان أيضاً لا يجب أن ينكروا بعض الأيادي البيضاء للوطني منذ نهايات التسعينات، فالهامش المسموح لهم باللعب فيه أصبح كبيرا جدا لو قارناه بأي فترة سابقة (عدا أوائل السبعينات)، فلهم حرية الاتصال ببعضهم وحتى بمن يعتقل منهم، وليس هناك أي تضييق على تدفق الأموال من الخارج، ولا تقييد لعمليات غسيل الأموال من خلال تجارة التكنولوجيا وغيرها، وهذان هما العنصران الجوهريان لحظر أي فصيل سياسي فعليا: ضرب اتصالاته وبنيته التمويلية، فلو غابا فلا حظر ولا يحزنون! فالنظام أحرص على استمرار وازدهار الإخوان مما يظنه أغلب الإخوانيين، فعلى جسرهم – أو بالأصح جسر عدم الرغبة فيهم محليا وعالميا – يتحقق له الكثير.

الإخوان ولحن الاضطهاد

حين نفكر في شعبية الإخوان المسلمين ونبحث أسبابها نجدها عديدة متشعبة، يأتي على رأسها رسالة دعائية سهلة وصعبة النقد في آن معاً، فشعار "الإسلام هو الحل" يضعهم في نظر جموع الشعب موضع الخلفاء والوارثين للمجتمع الإسلامي الأول. المجتمع الذي يسمع عنه الناس في خطب الجمعة، ويقرأون عنه في الكتب الدينية كمدينة فاضلة. وهم في دعايتهم لا يكتفون بمجتمع الصدر الأول، لكنهم يسحبون عباءة المجتمع الفاضل على جميع الخلافات وكل من تسمى بلقب خليفة رسول الله، بداية من الأمويين وانتهاء بالخلافة العثمانية، وحين تقول لهم أن العثمانيين لم يكونوا خلفاء إلا بالاسم، وفاقت مظالمهم وفظائعهم في مصر وسوريا وجبل لبنان فظائع الإنجليز والفرنسيين، يقولون أنها لو افتقرت للعدل فقد كانت تحفظ لنا العزة والكرامة! وبغض النظر عما في أقوالهم تلك من كذب وتدليس، إلا أنها مقبولة مستساغة عند جموع المصريين. الجموع التي تعاني تحت وطأة الفساد والفقر. كما أن النمط الثيوقراطي في خطابهم السياسي يضع من يعارضهم في موقف حرج، فهم يصورون الأمر كما لو كان الرافض لفكرهم يعارض الإسلام ذاته، وليس موقفهم وفهمهم للإسلام، ومن الميسور بعدها اتهامه بإنكار المعلوم من الدين بالضرورة حتى وإن لم ينكر.

أما ثاني عناصر الشعبية فهو وتر الاضطهاد، حيث اعتادوا الترويج لأنصاف الحقائق على أنها حقائق كاملة، فمثلا "سيد قطب" لم يعدم لضلوعه في مؤامرة إغراق القاهرة ولكن لأنه مفكر إسلامي، و يتناسون أن ثلاثة منهم كتبوا عن هذه المؤامرة محددين التواريخ والأشخاص وأطراف المؤامرة، كذلك تراهم يتفننون في وصف الاضطهاد الناصري وينسون أن حكومات الاضطهاد الحقيقية – كنظام البعث في سوريا – لم تتح للإخوان فرصة الخروج من الوطن والانتشار لجمع المال والأتباع في دول النفط كما حدث في الستينات، بل قضت على شأفتهم، وكان بإمكان الحكم الناصري القضاء عليهم وقتها، وكانت له القاعدة الشعبية التي تحميه وتدعمه، لكنه لم يفعل كراهية لإراقة الدم المصري في صراعات داخلية مهما بلغت حيويتها. المهم أن وتر الاضطهاد – هذا الذي يجيدون اللعب عليه وتنويع النغمات به – وفر لهم غطاء من التعاطف الشعبي، ووفر لعناصرهم صورة المناضل الشهيد من أجل مبادئه.

وحين زادت جرائم وحماقات الجماعات التي خرجت من تحت عباءة الإخوان من القطبيين فهابطا، وبدأ هذا يؤثر في قبولهم عند الناس، أضاف الإخوان وترا جديدا هو وتر الاعتدال، وتر مصطنع وغريب على نسيجهم، فتراهم يقولون أنهم يناصرون حقوق الأقباط وكانوا بالأمس يريدون منهم دفع الجزية، قالها "مشهور" صريحة مباشرة قبل أن تقوم ضده الدنيا فيتراجع على طريقة "القصري" وهو يقول: "معلش، هتنزل المرة دي". كذلك تسمعهم يدّعون تأييد حقوق المرأة وهم مازالوا ليومنا هذا لا يقبلون تصويت الأخوات في تنظيمهم الداخلي، ولا وجود للنساء في مجلس شورى الجماعة. وتسمعهم يقولون في برنامجهم الانتخابي لعام ٢٠٠٥ أنهم "ينبذون العنف في الاعتداء على حقوق الآخرين"، كأنهم يعدون ليوم يستخدمون فيه العنف للحصول على ما يظنوه حقهم، وهو ليس بالضرورة حقهم، لأن مرجعيتهم المطاطة تجعل من كل شيء لهم حقاً، واستعراض الميليشيا في حرم جامعة الأزهر مازال ماثلا في الأذهان. ميليشيا في حرم جامعي! لو أنهم لم يكونوا محظورين قبل هذا الحدث، لاستحقوا الحظر بسببه.

ثم تسمعهم يقولون أنهم حريصون على إقامة دولة دينية مدنية، في خلط واضح، نتج عن الخلط الأساسي لديهم بين حياة المسلم في دولة مدنية ومجتمع مسلم، وحياته في دولة دينية وهو ما لا يوجد به نص في دين الله ولا يوجد له منطق يبرهن عليه، ويروجون لكلمة لا أصل لها وهي أن الإسلام دين ودولة كأنها قرآن لا مساس به! بينما الحق أن الإسلام دين ومجتمع، وشتان بينهما. باختصار، تسمع كلام الإخوان تصدقهم، ثم تري أحوالهم فتعجب! وأنا لا أظن بهم الجهل بالدين، ولكني أظن بهم "الغرض في الدين"، يأخذونه مطية للسلطة، وفي هذا قال عنهم مؤسس الجماعة الأستاذ "حسن البنا"، واصفا عشاق السلطة من جماعته "ليسوا إخوانا ولا مسلمين" فكانت مقولة مؤسسهم أصدق ما قيل فيهم.

وغني عن الذكر أن دعايتهم كلها تصبح بلا قيمة لو فقدوا صفة المحظورة تلك، سيصبحون في نظر الشعب حزبا مثل بقية الأحزاب الهيكلية، فأخبار الاعتقالات عشية كل انتخابات لو لم تحدث لاخترعوها اختراعا، لأنها تمثل فلفل الطبخة، حتى يشعر المواطن المقهور حين يعطي صوته للإخوان أنه يفسد مخطط الحكومة ويهدر اضطهادها لهم، وهو شعور يحرص عليه كل مقهور ضد من يقهره، ولو كان في مصر اليوم نظام مدني كامل لما وجدوا فسادا يدعون مواجهته ولما لاقوا اضطهادا يشحذون به همم الناس، لأنهم في ظل مجتمع مدني سيمارسون حقوقهم السياسية في إطار سيادة القانون.

بإيجاز، لو قام مجتمع مدني كالذي يتحدث عنه الإخوان في مصر ستنتهي أسطورة الإخوان، لأن أسطورتهم ثمرة طبيعية للجهل الاجتماعي والممارسات نصف الديمقراطية.

خاتمة:

مصارع الضلال

كنت قد وضعت لكتابي أول الأمر اسم "طبائع الاستهبال ومصارع الضلال" بشكل مسجوع يضاهي عنوان رائعة الكواكبي "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"، ثم عدلت عن ذلك واختصرته إلى "طبائع الاستهبال" فقط، وقد طالعنا تلك الطبائع في مجمل المقالات السابقة. والآن وقد وصلنا لخاتمة الكتاب حان وقت الحديث عن "مصارع الضلال"، أو بمعنى أوضح: المصير الذي ينتظر السلطة التي تحاول أن تؤسس لاستبداد جديد في مصر.

ما أدركه يقينا أن الغمة التي تظلم وجه مصر اليوم سوف تنزاح عنها في بضع سنين، ولله الأمر من قبل ومن بعد. أما كيفية حدوث ذلك، ومصير جماعة الإخوان المسلمين بعده، فيتوقف على ما يفعله الإخوان في الفترة القادمة، لهذا فمصيرهم مرهون بعقولهم وحسن اختيارالهم.

الخيار الجيد هو احترام القضاء والحفاظ على نزاهة الصناديق. في تلك الحالة سيخرجون من السلطة بآليات ديمقراطية كما جاءوا لها. يخرجون من السلطة لبيوقم ويبقى لهم دور كلاعب أساسي في مضمار السياسة المصرية. أما الخيار السيء فهو استمرارهم في العدوان على القضاء، والسيطرة على مفاصل الدولة التي تدير العملية الانتخابية على الأرض، بهدف الحفاظ على أغلبية تصويتية فقدوها على أرض الواقع. وهو اختيار سيء للجميع، وأول المضارين منه هم الإخوان أنفسهم، لأنه الخيار الذي يضمن لهم مصيرا مشابها لمصير حزب البعث في العراق، والحزب الوطني في مصر. حيث يخرجون من السلطة بآلية ثورية نتيجة الانسداد السياسي الذي صنعوه. يخرجون من السلطة للسجون ويطبق عليهم

العزل السياسي كما طبق على رموز الأنظمة الغابرة، فهل هذا هو ما يريدون لأنفسهم؟

من يصر على السير قدما في درب الضلال سيؤول أمره لمصارع الضلال والاستعباد التي بشر بها "الكواكبي" في كتابه كل مستبد، ونبشرهم بها اليوم. فإما أن يثوروا على واقعهم ويطهروا أنفسهم قبل المطالبة بتطهير الغير، أو لتأتين ثورة تستأصل شأفتهم من تاريخ هذا البلد، ولات حين مناص.

الفهرس